خارج نطاق الواقع

لا يجوز نشر هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من الأشكال أو نسخ مادته بطريقة الاسترجاع، أو نقله على أي نحو بطريقة إلكترونية أو بالتصوير أو ترجمته إلى أية لغة أخرى دون الحصول على موافقة الناشر والمؤلف مقدمًا.

All Rights Reserved. No part of this publication may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted, in any form or by any means, electronic, mechanical, photocopying, recording, or otherwise, without the prior written permission of Bibliomania Ltd.

- **الكتاب: خارج نطاق الواقع**
- **المؤلف: خميس لولو**
- **نوع العمل: رواية**
- **الطبعة الأولى 1440 هـ - 2019 م - القاهرة**
- **الناشر: ببلومانيا للنشر والتوزيع – مصر**

- **رقم الإيداع : 25806 / 2019**
- **الترقيم الدولي (ISBN): 978-977-6754-76-8**
- الغلاف: خالد عبدو بيطار
- تدقيق: محمود سوكاني
- المدير العام: جمال سليمان
- العنوان: عنوان (1): 15 شارع السباق – مول الميريلاند – مصر الجديدة
  عنوان (2): 38 شارع عمر المختار – الأميرية – القاهرة
- تليفاكس: 0020226061014
- محمول: 00201208868826 – 00201065534541 – 00201210826415
- صفحة الدار على موقع فيسبوك: https://www.facebook.com/bibliomania.eg/
- الموقع الإلكتروني: www.bbibliomania.com

كل ما ورد في هذا الكتاب من أخبار وأحداث وآراء يعبر فقط عن رأي الكاتب، ولا يعبر بالضرورة عن رأي الناشر، ودون أدنى مسؤولية على دار ببلومانيا للنشر والتوزيع

خارج نطاق الواقع

رواية

خميس لولو

www.bbibliomania.com

2019

إهداء

هذا الكتاب إهداء إلى كل من شجعني على نشر روايتي الأولى شيزوفرينيا الواقع، وآمن بقدراتي و رفع من سقف معنوياتي، هذا الكتاب إهداء لكل من همس في أذني وقال (أنا معك في السراء قبل الضراء) ، هذا الكتاب إهداء إلى تلك الشخصيات القليلة التي بقيت بجانبي عند حاجتي إليها، هذا الكتاب إهداء إلى عائلتي خصيصا و إلى أصدقائي المقربين بشكل محدود جدا، هذا الكتاب إهداء إلى شركتي التي آمنت بموهبتي و أطلقت روح المغامرة مني، شركة ببلومانيا للنشر والتوزيع، هذا الكتاب إهداء إلى كل من عرف أنني قصدته في كلماتي السابقة.

*****

أشكرك

هل صادفتم أشخاصا في حياتكم تسعد عند ابتسامتك، أو تحزن عندما تشعر بتلك الدمعة التي ستخرج في غضون ثوان؟ أشكر ربي أولا على وجودهم في حياتي، أشكره على كل ما رزقني إياه بمجرد أن دعوته دعوة صغيرة من قلبي بأن يرزقني من فضله وكرمه ما شاء. أشكر أبي وأمي بعدها على حالي الآن، أشكرهم على (أنا)، فقلبي لم تسعه كل تلك الدعوات والحب والسعادة التي وهبتموهم لي، أشكركم وأحبكم من كل قلبي. أشكر بعدها إخوتي وحب حياتي اذيي مع طول المسافات تطول الكلمات التي تصف محبتي لكم، وتكبر فتحات قلبي لتدخل أكبر عدد من السعادة والحب والإخلاص الذي أكرمتموني بهم. بعدها أشكرك يا صديقي الذي وقفت بجانبي، وقفت بقلبك الذي نسخ قلوب حب أخرى لتعيش بجانب قلبي الوحيد داخل جسدي، أشكرك لأنك لم تتركني وحدي ومشيت معي خطواتي الأولى في تعلم المزيد عن هذه الحياة وطبيعة أشخاصها، وجعلتني أبحث بعناية شديدة عن أشخاص مثلك وأصريت على تشجيعي لأعطي المزيد. يأتي بعدها شكري للتي لم تتركني وحدي في الصعاب، لمن حارب الأعداء وأخلص للأوفياء، أشكرك فعلا يا نفسي التي آمنت بقدراتها التي حاول الكثير على إطفاء لذتها التي لن تنطفئ، أشكرك لأنك كنت محل ثقتي بك. بعدها أشكر ذلك الشخص الذي سارع للخير وبادر بالعطاء والمحبة تقربا لله بعيدا عن النفاق والرياء ، أشكرك يا من وثق بنفسه، وترك عنه تلك المقولات التافهة التي تقال في حقه بأنه ضعيف ولا كيان له، أشكرك لأنك صنعت شخصيتك وهويتك في واقعك الخاص، أشكرك يا من حاول الخروج من واقعه للتعرف عليه من

بعيد والنظر إليه من منظور أبعد خارج عالم الجميع، أشكرك يا من اختلف من أجل أن يكون قدوة خير بين جيله وأقرانه، أشكرك يا من تفعل الشيء لأجلك أنت، لا تهاب ما يقال عنك من كلمات تطلق عليك بهدف السخرية وتحطيم الكيان الذي صنعته، أشكرك لأنك وقفت بجانب الحق ولم تخف لومة لائم، سأشكرك وسأشكر الجميع، فإنه من لم يشكر الناس لا يشكر الله.

*****

مقدمة

لم أقتصر في كتاباتي على النهايات السعيدة، أو حتى الحزينة، وإنما على النهايات الواقعية الحديثة التي تنقل القارئ إلى عالم غريب مهجور من الأكاذيب وأضغاث الكلام الذي يُسرد في بعض القصص الغير واقعية.

احتجت إلى أن أشير إلى بعض الشخصيات التي في الحقيقة محل إهمال في المجتمع، والتي بالفعل باتت ظاهرة مؤسفٌ الحديث عنها. شخصيات حقيقية لابد من لمس قلوبها لنجد لها حلا يصلح من حالها ويسهل التعامل معها. ستجد في هذه الشخصيات روحك بداخل إحداها، شخصيات أهملها المجتمع ولم يسلط عليها الضوء لنعرف الكثير عنها، في رواياتي أحب أن أتعمق داخل عقول تلك الشخصيات وكما أنها لم تكن أبطالا لواقعها، سأمنحها فرصة أن تكون أبطالا لرواياتي الواقعية. لذا جهز فنجان النسيان لتنسى كل ما فاتك، وابدأ حياة جديدة بهاتين القصتين.

*****

الرواية الأولى

خارج نطاق الواقع

*****

الفصل الأول

(هل تعرفتم علي؟!)

"امسك هاتفك، واتصل على قلبك، وتأكد ألا تعطيك المكالمة إشارة (أن الهاتف خارج منطقة التغطية)"

(سأموت قبل أن أحيا، وسأحيا وحيدا) دائما ما كنت أفكر في هذه الجملة، آخذها عند كل فكرة أفكرها، كان كلما فتحت لي الدنيا أبوابها، أتذكر هذه الجملة فتصفعني الدنيا بكل قواها وكأنه لا حول لي ولا قوة، أتعمق فيها لكن لا أجدها تصفني، أو حتى تشير إلي بإصبعها الصغير، لا لست أنا من سيعيش وحيدا، لكن أحيانا يأخذنا سوء الفهم، لا سوء الحكم. قبل أن أولد، وقبل أن أعيش على هذه الكرة البيضاوية، ومع هؤلاء البشر، كنت أنتظر الخروج لأبحث عن حياتي التي تنتظرني، كنت أسمع صوت أبي الذي يعلو المكان بصريخه، وأسمع ردود أصوات من داخل الحجرة التي أنا بداخلها، لم أكن أفهم أي شيء. هذا الفضول الذي شجعني على الخروج قتلني من داخلي، أصبحت أتساءل هل هنالك أحد يسمعني، أم أنني محبوس هنا!؟ عند ولادتي ذبح أبي ثلاثة خراف سمان، ووزعها في جميع أنحاء المدينة التي كنا نسكن فيها، إلى هذه الدرجة كان يحبني؟! كان لدي ست إخوة، وأنا سابعهم، تسبقني أختي بسنة واحدة ، وأخي يعقبني بسنة. كان دائما ما يأتيني شعور غريب تجاه أخي الأصغر وأختي الأكبر، لم أكن أعلم ما سره، كنت أحبهم أكثر من غيرهم، أختي تدعى (تمارا) ، كنا دائما ما نتشاجر على أي سبب، هذا لا يعني أنني لا أحبها، بل كنا نغار من بعضنا البعض، وهذا طبيعي

بين صغار السن ما بين الرابعة والخامسة عاما. لهذا كان والدي كلما أتى بشيء ما جلب لكلانا، وكنت أشعر أن تمارا هي النقطة المشتركة بيني وبين إخوتي ، كنت أعتبرها هي أختي المقربة مع أنه لم يحدث أي شيء يؤكد لي هذا. على عكس تمارا، فأخي الأصغر الذي يدعى (مجد) كنت أعتبر أنني مسؤول عنه حتى وأنا في سن صغير، كنت أشعر بأن من واجبي تجاهه مراعاته وتلبية احتياجاته، مع أنني وبكل صراحة لم أكن أفقه ماذا تعني كلمة (رعاية). كان مجرد إحساس لم أفهم معناه إلا بعد أن كبرت في السن وأخذت دروس الحياة حتى شاب شعر رأسي. ما زلت في الخامسة من عمري، وأنا بين أسرتي نمرح ونلعب ونخوض مراحل الحياة بكل قوة، كنت أرى على وجه أبي أثار المشقة والتعب، وأتساءل ما الذي من الممكن أن يضيع لذة الحياة عند هذا الرجل الذي يخرج من البيت منهكا ويعود بالكاد يأخذ أنفاسه ، ما هذا الشيء الذي سيجبره على فعل هذا؟! ونحن في البيت ما كان يشغل بالنا وتفكيرنا سوى (أين مصروفي؟ وأين ألعابي؟)، نعم كنت ألاحظ كل هذا الذي يفعله لكنني لم أكن أصل إلى حبل يربط أفكاري المتفككة. كانت دائما أمي تخبرني كل يوم كيف تعبت أثناء فترات الحمل، وكيف كنت أُتعِبها غير باقي إخوتي، كانت تصر على إخباري وكأنني أخبرتها أنني منكر لفضلها! كنت أتردد عند سؤالي لها هل تريدين إخباري بشيء ما؟! كانت هذه الأم أعتبرها حنونة، لكنها لم تكن تفهم ما نريد، كنت أشعر أنها مجرد شخص يراعي إهتماماتنا ، لا أكثر ولا أقل، لم أشعر في يوم أنها تحس بنا او تشعر بما نقول عند الحديث معها، كنت كلما أريد أن أخبرها بأمر ما أتردد، وأقول في نفسي (هل ستفهمني؟!) أسئلة كثيرة كانت تدور في مخيلتي ، وشيء غريب أن طفل في عمر الخامسة تدور في

عقله أسئلة كهذه، كنت أحيانا أتخيل لو أنها تستطيع اختراق عقلي فتسمع ما أقول عنها فتعاقبني على ذلك. عشت طفولتي .. لا لم أعشها، فكل لحظات الطفولة كانت مغرقة بدماء الواقع الذي أعيش فيه، قطرات النزيف تصرخ عند سقوطها، لم يكن واقعا، بل كان خارج نطاق الواقع.. بمجرد أن أتذكر لحظات طفولتي المقيدة أتذكر لذة عقوبتها، وكلما تذكرت عقوبتها، أخذتني الحياة بصفعاتها.

أجلس كثيرا مع نفسي أحدثها، ألجأ إلى قلبي لأواسيها، كلما ألجأ للاستقرار يقتلني الجيشان، وكلما أحببت الحياة، تكرهني الدنيا ومن فيها، وكلما تمنيت الموت فتحت لي أبواب السعادة على الأرض، ما هذا الذي أعيشه، هل هو واقع يعيشه الجميع؟ أم أنني أعيش في واقع مخالف؟! فليس من الطبيعي أن يعيشه الناس ولا يتضجرون! أم أن صبري قد نفذ؟! إنني ابن الخمس فما الذي ينفذ وأنا ما زلت صغيرا! أعيش تناقضات يومية، أعيش حياة مزدرية، لا أحد يشعر بي، حتى أقرب الناس لي، أحيانا علينا أن نسعد بأقبح الأشياء حتى تأتينا أجملها، لكن متى ستأتي هذه الأشياء؟ أم أنني أنا من سيذهب لها ويطرق بابها؟ وماذا إن كانت قد أغلقت بابها بالمفتاح وأضاعته في مكان ما؟!

أغلقت أصوات الرياح أبواب منزلنا، ونحن في خوف يسكن أجسادنا، الأمطار تنهمر بالبكاء، والرعد والبرق يصران على إخافتنا، كان يوما عصيبا، اتصل أبي على إخوتي فقد كانوا خارج البيت، في مثل هذه اللحظات يصر أبي على التمسك بروابط العائلة التي كان يصفها أبي بأنها أقوى من أية روابط، يحاول جمعنا في أعسر الأوقات حتى نتمسك ببعضنا في أيسرها. الأمطار تشتد، والأصوات تعلو، وإخوتي ما زالوا في

الطريق، أنا وأمي وأبي، ومع أخي الأصغر وأختي الأكبر نرتعش من الخوف، حتى أمي التي كانت تحاول تهدئتنا كانت ترتجف. لم يصل أي أحد منهم! انشغل بال أبي عليهم، أمي شرعت بالدعاء، وأبي يتصل عليهم، لكن لم يجد أي جواب. دخل أبي إلى غرفته لكنه لم يستغرق كثيرا ، فقد ذهب وارتدى ملابسه وذهب مسرعا إليهم ليبحث عنهم. ومع علامات التعجب سألته أمي: إلى أين أنت ذاهب يا خالد؟

الأب: سأذهب وأبحث عن أبنائي.

أمي: كيف ستخرج في مثل هذه الأجواء؟!

الأب: إن الله معي يا امرأة، إلى اللقاء

و ذهب مع الرياح كما يقولون. نعم، كنت أسمع هذه المقولة لكن لم أكن أصدقها حتى رأيتها، فقد ذهب مع الريح الشديدة، التي تقتلع الأشجار من جذورها، وغصون الشجر يكسر ساقيه من طول المطاف، أين سيذهب أبي! وكيف سيجدهم؟! أبي حتى لا يمتلك سيارة لتنقله إلى حيث أراد، فلعائلتنا سيارة واحدة وقد أخذها إخوتي الأربعة ولم يعودوا، إن هذا لأمر مثير! تعبت من كثرة الانتظار، أو بالأحرى، تعبت من الخوف الذي لم يلامس قلبي، بل قاتل قلبي حتى تغلب عليه، ذهبت أنا وإخوتي للنوم وقد بقيت أمي على حالها حتى طلوع الشمس، فما حدث كان مخالفا للواقع!

*****

الفصل الثاني

(بطولة الضرب)

"إن لم تستطع القيام بعمل ما، وضاقت عليك الدنيا فلا تحاول القيام به، بل اعزم على ألا يكون هذا الشيء إعجازا لقدراتك التي تثق بها."

طلعت الشمس من شرقها كالعادة، لكن ما حدث لم يكن كالعادة، فقد استيقظت على بكاء أمي، ما جاء في خاطري وتفكيري هو (أين أبي؟) ، أسرعت إلى الصالة فوجدت أبي بملامح جافة ووجهه الشاحب ينظر إلى أمي ويقول: احمدي الله على ما حدث لحظة، ما الذي حدث؟ هل إخوتي في المشفى؟ ماذا جرى لهم؟ لم أفهم ما الذي حدث إلا بعد ما قالته أمي والذي كان بداية لكل معرقلات هذا الواقع المزيف.

الأم: لِمَ لمْ يمت واحدا منهم؟ لماذا مات الأربعة معا؟!

ماذا؟! إخوتي ماتوا؟ كيف يعقل هذا، ألن أراهم ثانية؟ في الحقيقة في ذلك الوقت كنت لا أفهم ماذا يعني الموت، أو ما هي قيمة كلمة الموت، فقد كان كل ما يجول في عقلي أن الموت ما هو إلا كلمة تأتي بمعنى شخص يذهب عن عيني فقط، لكن غيري قد يراه، قد تجد هذا التشبيه غريبا بعض الشيء، لكن بعد نهاية روايتي ستجد أن هذا التشبيه هو الأقل غرابة من بين جميع التشبيهات. مات إخوتي الأربعة، بقيت مع إخوتي (المقربين)، تمارا ومجد، بدأت أشتاق لإخوتي كثيرا، لكن أحيانا يجبرنا الواقع على تصديقه، وعلى اللجوء له في وقت عدم حاجتنا إليه، يجبرنا على التحلي بصفاته والتخلي

عن الخيال الذي يجول في رأسنا، وكأنه يقول لنا (لا تحلم، عش الواقع ثم احلم) وهذا يعني أنني لن أحلم بتاتا، فبمجرد أن أعيش واقعي تصدر أحكام الواقع حكم الإعدام على حريتي وتفكيري فأخضع للأمر الواقع. يعمل أبي في أعمال حرة، فلم يكن يحب أن يتقيد بأي عمل كان، فقد كان يعمل في تجارة الخشب والأمور التي يحتاجها أهالي القرى والمزارع ليستغلوها في أمور قد تنفعهم، ولقد مضى زمن طويل على حاله، والمعروف أن أبي ذكي في مثل هذه الأمور، فهو لا يحب أن يعمل فقط من أجل قوت اليوم، لهذا كان يخزن جزءا من مصروفه لبناء مشروعه الخاص والذي كان غرفة صغيرة تحت المنزل استغلها كمحل للحلاقة، لذلك تعلم الحلاقة وبدأ بمشروعه الذي نجح وربح أكثر من عمله الأساسي ألا وهو التجارة. كان ذكيا جدا في مثل هذه الأمور، وكنت دائما ما أراه مستمتعا في عمله بالرغم من أنه غير مرغوب فيه عند البعض. كان دائما ما يخبرني بأنني أنا خليفته فيه، وأنني سأساعده فيه عندما أكبر، كنت أخبره بأنني قد كبرت ويجب أن يدعني أعتمد على نفسي، لكن طفل بعمر السابعة من عمره لا يفقه بأي من هذه الأمور، فكان يجبرني على الجلوس لأراه؟ كيف يقود عمله على أكمل وجه؟... كنت أفتخر بهذا الشيء، فوالدي إنسان طموح، وقد واجه صعاب الحياة وحده كما كان يخبرني من قبل. أمي لم تكن تعمل، كان كل ما عليها هو تحضير الطعام وتنظيف البيت، وكانت دائما ما تتشاجر مع أبي على هذا الموضوع، فقد كانت تتأخر أحيانا مع زميلاتها وتعود إلى المنزل وكأن الطعام سيحضر نفسه بنفسه. وكان هذا يؤثر سلبا علي أنا وإخوتي، فعندما نشاهد تلك المناوشات التي لا أصل لها، نظن أننا في بيت الضجيج، والجدير بالذكر أن هذه الخلافات تزداد سوءا يوما بعد يوم، وفي كل مرة

يكون السبب تافها. أدخلني أبي المدرسة الحكومية التي توجد في منتصف مدينة (الدار البيضاء) في المغرب، وكانت مدرسة جيدة إلى حد ما، لم أكن أعاني من أي شي، فقد كنت في الصف الأول الابتدائي ، وكانت الأمور سلسة بالنسبة لي. كانت أختي تمارا معي في نفس المدرسة، لكنها تسبقني بسنة. وفي أول يوم دراسي عرفتني على مرافق المدرسة وعلى مدرسيها، أحببت المدرسة التي بدت مكان استقرار بالنسبة لعقلي ، بعيدا عن المناوشات التي تحدث في البيت، لكنها لم تكن محل استقرار لقلبي، فكنت أشعر بإحساس غريب بمجرد دخولي تلك المدرسة العجيبة. لم أكن أعرف سبب ذلك الشعور حتى حدث ما حدث.

في يوم من تلك الأيام، دخلت إلى المدرسة من بابها العريض، وإذ بأحدهم يضربني من الخلف ويهرب، فما كان مني غير أن لحقته وأمسكت به، كان شعوري الداخلي يأمرني بأن أضربه مثلما ضربني، لكن ما كان مني غير أن ضربته ضربا مبرحا وكأن غليل قلبي لا ينفذ. رآني أحد المعلمين وأنا أضربه، فأمسكني كقطعة منديل ورماني بعيدا، وبعد أن اطمئن على صحة الولد أمسكني من ثيابي بإصبعيه وأخذني عند مدير المدرسة.

المعلم: انظر يا سيدي ماذا فعل هذا الطالب في ابني.

ابنك! لقد كان ابنه! إنه لأمر مضحك، لماذا يضعني الواقع دائما في أمور كهذه؟! في المرة الوحيدة التي أضرب فيها أحدا يكون هذا ابن أحد المعلمين! لم يدم ذلك كثيرا، فبعد ثوان تدخل أحد الطلاب وقال: يوسف معه الحق يا سيدي (و أشار إلي)

نعم، هذا اسمي، أنا يوسف، لم أسمع اسمي منذ زمن طويل، لم يكن يهتم لأمري أي أحد في هذا العالم، لكن من هذا الولد؟ ولماذا يدافع عني؟ وكيف عرف اسمي؟

الولد: لقد شاهدت كل شيء بأم عيني يا سيدي، لقد ضربه هذا الولد من الخلف وهذا ما جعل يوسف يقوم بأخذ ثأره منه، أرجوك يا سيدي سامحه، فهو لم يقصد أي إساءة.

المدير: هل تسامحه يا أستاذ؟

المعلم: لا لن أسامحه، لقد تسبب في أذى ابني.

المدير: إذا سنتصل على أبيك يا يوسف، أعطنا رقمه.

يوسف: لكن أبي ليس لديه هاتف.

المدير: هل يعقل هذا؟ هل تكذب يا يوسف؟

يوسف: لا، أنا لا أكذب بتاتا يا سيدي، لكن أبي قد أضاع هاتفه في الأمس.

المدير: إذا تخبره بأننا نريد أن نراه هنا في المدرسة غدا، مفهوم؟

يوسف: حسن يا سيدي.

عدت إلى البيت، لكنني بالتأكيد لن أخبر أبي، لأنه لن يتفهم ما حدث لي وسيصفعني على وجهي، لكن ضميري الداخلي لن يسمح لي بإخفاء الأمر كثيرا، حسنا سأخبره لأن الصفعة التي سيصفعني إياها أبي لن تكون أقوى من الطعنات الداخلية التي في داخلي، لذا أخبرت أبي بما جرى في المدرسة، لكن حدث ما توقعته، أخذني إلى ما كان يشغل عقلي، أخذني بعلامات وخطوط على وجهي من الضربات التي ضربني، هذه البطولة التي كنت أسميها بطولة الضرب التي يواجه بها أبي وجهي ويتصارع معه وكأنني أهنته عندما أخبرته أن المدرسة تريد رؤيته، نسيت أن أخبركم أن أبي كثيرا ما يتأثر بكلام الناس ويقوم بحساب أي فعل يقوم به من أجل الناس وكلامهم .

الفصل الثالث

(شكرا لك)

"اصنع سمعتك بنفسك، واحمل حجار التفاؤل والسعادة بيدك، واغرسها في نفسك وأخلاقك، واسأل دائما عن اسمك، واجعل كل من نطق به اتبعه ب " أطال الله في عمره " فهذا ما قد يدوم، بل هذا ما سيدوم بعد مماتك. وتذكر حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: ((إنَّ من أحبكم إليَّ وأقربكم مني مجلسًا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقًا))" صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ..

ذهب أبي معي إلى المدرسة في اليوم التالي، وعلامات الضرب ما زالت على وجهي تشير إلى السعادة المفعمة، وصلنا إلى مكتب المدير وكان المعلم ينتظرنا هناك هو وابنه ، ابنه الذي يقال بأنه ضُرب، لكن في الحقيقة أنا الذي أستحق أن أشتكي، أو بالأحرى العلامات التي على وجهي تطالب بالمغفرة. سمع أبي الكلام الذي لم يعجبه من المدير والمعلم، وكان أبي منصتاً جيداً ويطلب العذر منهم، والذي لفت انتباهي هو التغير الجذري بمعاملة المدير والمعلم مع أبي عندما علموا أنه يعمل حلاقاً في المدينة، وأنه كان يعمل بالتجارة منذ فترة وجيزة، لكن هذا هو حال الواقع. توعدني أبي في البيت بعد الذي سمعه، ووجدت ملامح الخجل على وجهه، الخجل الذي نادرا ما يلامس ملامح ذلك الرجل الكبير، كان خجلا مروعا، حزنت عليه قبل أن أحزن على نفسي، لم أكن أتمنى أن أرى ذلك المشهد المحزن على وجهه، كان ذلك الرجل هو كل شيء

بالنسبة لي، أدرس من أجله، وأسعد من أجله، حتى عندما كان يضربني أخضع للواقع من أجله، كنت أبحث عن أي الأمور التي تسعده وأنفذها، كان هو من يصبرني على تقلبات هذا الواقع الأليم، لم أكن أتوقع أن أكون في يوم سببا في حزنه ويأسه، منذ ذلك اليوم عهدت على نفسي عهدا ألا أراه حزينا أمامي، أو على الأقل لا أكون أنا السبب في حزنه، بل أكون سببا في دعائه لي ولمستقبلي الذي ينتظرني. تعرفت على صديقي الذي حاول إنقاذي من ذلك الموقف البشع، أخبرني أن اسمه (بلال) ، وكان ذلك الصبي محل ثقة بالنسبة لي، كبرت صداقتنا يوما بعد يوم، وسنة بعد سنة، كنا نقضي معظم أوقاتنا معا، كنت أعتبره روحي الثانية التي ألجأ إليها بعد نفسي، مع أنه كان يكبرني بسنتين إلا أنه كان متفاهما معي إلى أبعد الحدود، كنت أفوق أقراني لهذا السبب، أنني أفكر بتفكير أكبر مني، وكنت آخذ الأمور من ناحية مختلفة عنهم، كان بلال متفهما لما يحدث معي في حياتي، ويعتبر أنه هو الشخص الوحيد الذي يعرف معنى ما أقصده عندما أخبره أنني أبحث عن الهروب خارج الواقع، وأنني لا أحب المكوث داخل قوقعة الواقع المزيف الذي يلزمني بتصديقه وتصديق الخرافات التي تحدث بداخله، وكان يخبرني أن أعمل المستحيل لأخرج منها، حتى وإن كان ذلك مستحيلا، لكنني على الأقل آمنت بنفسي وخرجت منها بروحي التي تلازمني طوال الوقت. سنوات أعاني من نظرات الجميع من حولي، بمجرد أن أدخل باب المدرسة تلتفت جميع الأنظار إلي ويقومون بإطلاق الصفات والألفاظ الغريبة علي، (هذا ابن الحلاق) و(هذا الذي لا يبتسم) و(انظروا إلى الحقد في عينيه) والكثير الذي لا ينبغي أن أذكره، يقولون ويقولون وهم مغيبون عن الواقع، لا بل إنهم داخل ذلك الواقع، كم هذا غريب، كيف

لكم أن تحكموا علي وتطلقوا تلك الكلمات على شخص لا يعرفكم أو على شخص لم يؤذ أحد منكم، بل كيف تطلقون أحكاماً على شخص قد عاش في واقعاً مملوءاً بالتعاسة والقساوة ما عاش، وتعب في حياته التي لم تدم كثيرا، هذا هو حالي قبل أن أدخل في عالم العشرينات، فما هو حالي بعد أن أخوض في العالم الآخر والأصعب كما يقال! أنا اليوم عمري ١٤ وما زلت أعاني من تلك النظرات، ومن تلك العنصرية في التعامل من قبل المعلمين قبل الطلاب، ولولا ذكائي واجتهادي في الدراسة لما تفوقت على من هم في نفس عمري، يجتهد المعلم على تدميري لكنه لا يفلح بسبب مجموعي الدراسي العالي، يخطط الطلبة كيف لهم أن يدمروني نفسيا لكنني لا آبه لأي مما يخططون له. وفي يوم من الأيام الكئيبة، عدت إلى البيت وليتني لم أعد. وجدت البيت مقلوبا رأسا على عقب، والجميع هادئ، ماذا حل بكم؟! هل كنتم تتصارعون؟! سألت أبي: ماذا حدث أخبرني؟

الأب: اذهب إلى غرفتك مع إخوتك.

ذهبت مسرعا إلى إخوتي والخوف يمتلكني، اعتقدت أن مكروها قد أصابهم، لكنني شاهدت منظرا لم أره من قبل، أخي يبكي وأختي تنهمر بالبكاء. يا إلهي ماذا جرى هيا أخبروني؟! لم يستطع أي منهم أن يخبرني ما حدث. ذهبت إلى أمي لأسألها لكنني لم أجدها. ليس لدي سوى أبي. ذهبت إلى أبي وسألته عن الذي جرى وأخبرته أنني بحاجة ماسة لأعرف ما حدث، فأخبرني وليته لم يخبرني. أخبرني بأنه قد تشاجر مع أمي شجارا حاد وطلقها على إثرها على الفور. لحظات صمت دامت لدقائق... ماذا تقول يا أبي؟! طلقت أمي! لماذا يا رجل، ألم تفكر في أبنائك!؟ ألم تفكر ما قد يصيبنا من

التفكك الأسري بعد الذي فعلته؟! كنت على وشك أن أفقد أعصابي، ولم أكن أنتظر أن يهدأني أبي أو أي شيء من هذا القبيل، لأن أبي في العادة لا يقوم بمثل هذه الأمور، وأنا لم أعتد على البكاء في حياتي، لكن نفسي ضاقت علي. من هنا بدأت همسات أمي تدخل آذاني، تهمس وتقول (بني، بني) همسات تؤلمني عند دخولها، لا أعلم مصدرها .ذهبت إلى إخوتي لأسألهم: هل ودعتكم أمي؟ أم غادرت ولم يهمها أحد سواها؟ ففي اعتقادي أعلم أنها بخيلة إلا على نفسها، لا يهمها أحد سواها، فإذا كانت ودعتهم سأذهب إليها وأتحدث معها، مع أنني صغير في السن لكن عقلي يكبرني بسنين. فأخبرني أخي أنها غضبت وخرجت من البيت بدون أي كلام، أخذت بعض ملابسها وغادرت على الفور، حتى أنها لم تودعهم ولم يهمها أي شيء في هذا البيت الصغير. هل يعقل هذا؟! هل يوجد أم في هذا الكوكب الصغير بهذا الكبرياء وهذا البخل في المشاعر؟! الدمعة التي كانت تسقط خجلت من نفسها وصعدت إلى مقرها في العين، لن أسمح لعيني بأن تدمع أو يراها أحد تضعف مهما دمت في هذه الحياة، لن أضعف أمام أحد قط، من الآن وصاعدا سأكون سببا في إسعاد أبي وإخوتي، فالحزن الذي رأيته على وجه أبي قتل إحساسي ومشاعري ، وبحيرة الدموع التي أغرقت إخوتي لن أراها مجددا، أنا شخص يستعيد قواه بمثل هذه المواقف، لن أضعف ،لن أنكسر، لن أنهزم، شكرا لك يا أمي علمتني كيف أكون شخصا آخر.

*****

الفصل الرابع

(السمعة الطيبة)

"أحيانا كثرة الكلام تدل على ضعف المصداقية، وكثرة التفاخر بالنفس تزيد النفس ضعفا وهوانًا، وهذا ما يدل على ضعف الشخصية، لكن أحيانا الصمت بحد ذاته يعني الكثير والكثير والكثير. لذا احذر من الصامتين."

صباح جديد، استيقظت على رائحة القهوة وجمالها، أبي كان يحب القهوة من يدي أمي، في الحقيقة كان يحب أي شيء منها، أحبها حبا عميقا، لكن كرامة نفسه استأذنته، فقد أتعبته أمي كثيرا، لم تكن تهتم لأمره أو حتى تسأل عنه، كانت مجرد زوجته بالحروف، كانت تهمله ويهتم بها، كانت تحزنه ويسعدها، أي الآباء أنت! ذهبت إلى أبي فوجدته يفكر، هل باعتقادكم مازال يحبها؟! ذهبت إليه وألقيت عليه السلام.

يوسف: صباح الخير يا أبي

الأب: صباح الخير يا ولدي.

يوسف: بماذا تفكر يا أبي؟

الأب: في الحقيقة أفكر في الليالي والشهور، أفكر بحبي لها، كم من مرة أخبرتها بألا تتركني وحدي، أخبرتها أنها شريكتي التي أشاركها فرحي وسعادتي، وكنت أتعجب لِمَ لم تبادلني نفس الشعور، ضحيت من أجلها مرارا وتكرارا، أُسكِتُّ ضميري من أجلها، أغلقت الباب على نيران قلبي الذي كان ينادي من أجل حرية الاستقرار الداخلي، لم أكن أفكر بنفسي طوال الوقت كما كانت تفعل، لم أحرمها من أي شيء على

الإطلاق، كنت أسافر وأتاجر، وأعرق وأكافح، كنت أسأل عن الطريق إلى قلبها فقد كنت أتوه داخلها، وبعد كل هذه السنين تتركني بكل بساطة وتذهب، وبدون أي كلمة، حتى أنها لم تجادلني، وكأنها انتظرتها منذ زمن بعيد، لقد عشنا ما يقارب ال ٢٠ سنة ونحن في نفس البيت، لكنني كنت أشعر أنني ٢٠ سنة في قلبها متيم، كنت أحس أنني ٢٠ سنة في الحب أعيش، كل سنة من ال ٢٠ كنت أعيش قصة حب جديدة، وكأنها أخذت مني كل شيء وأبقت ال ٠ من ال ٢٠.

يا إلهي، كل هذا الكلام يخرج منك يا أبي! لم أسأله سوى سؤال واحد، (بماذا تفكر يا أبي؟)، اعتقدت أنه سيصفعني ب (إنه ليس من شأنك) لكنه صفعني ب (لماذا لم تسألني من قبل عما بداخلي). بدأت علاقتي بوالدي تتطور شيئا فشيئا، ما زالت شخصيته كما هي، قاسي وذو كلمة لا تناقش، لكن أصبح يروي لي أمورا لم أعتد عليها، أصبحت أنا الأذن التي يتحدث إليها كل يوم، وأصبح يعتمد علي في أمور أكثر، أمور تخص إخوتي بشكل خاص. وفي يوم من الأيام السيئة بالنسبة لي ، كنت في المدرسة أذاكر لامتحان كان علينا بعد ساعات قليلة، وبينما أنا على هذا الحال أتى مجموعة من الطلاب ينظرون إلي من بعيد، نظراتهم كانت تقتلني، فلم تكن نظرات عادية بل كانت نظرات سخرية واشمئزاز، ينظرون ويضحكون، كان عددهم بين ال ٥ وال ٧ . نظرت إليهم بنظراتي الحادة لكنني أكملت مراجعتي، وكلما أقرأ كلمة يصرون على مضايقتي، ماذا تريدون مني؟! اتركوني وشأني أيها الجبناء! دخلنا قاعة الامتحان ومن حسن حظه جلس ورائي أحدهم. قبل بداية الامتحان أخبرني: يوسف، هل ستغششني أم ماذا؟

يوسف: لا، أنا لا أغشش أحدا

الطالب: إن لم تغششني سأقطع رأسك عن جسدك، هل سمعت؟

يوسف: إذا افعل ما يحلو لك إن استطعت.

بدأ الامتحان وأجبت على الأسئلة جميعها، وخرجت من قاعة الامتحان، فما كان من ذلك الطالب إلا وأن تبعني إلى الخارج وصرخ في وجهي: لمَ لمْ تغششني يا ابن الحلاق؟

يوسف: قلت لك منذ البداية أنني لن أغششك.

الطالب: إذا تريد أن تُقتل وحدك أم تريد أن تزور والدك في محل الحلاقة أولا؟

هنا لم أستطع أن أمسك أعصابي أكثر، أمسكت به وضربته على وجهه ضربا مبرحا، كل ما كان يشغل تفكيري في تلك اللحظة هو كيف يمكنني أن أنتقم من جميع المعلمين والطلبة في هذا الشخص المزعج، لم أستطع أن أضربه كما تمنيت، فقد أتى الجميع ليوقفوا هذا الشجار، وكما توقعت أخذني المعلم إلى المدير ووضع اللوم علي وكأنني أنا المذنب. ما أزعجني هو ما قاله المدير عني أنني أحب المشاكل، وأنني لم آتي لأتعلم ، وإن كنت قد أتيت لأتعلم فقد تعلمت كيف أضرب الطلاب الأبرياء. ما هذا العالم الذي يرى من منظوره الخاص، ألهذه الدرجة أصبحنا بلهاء؟! ما كان من المدير غير أن يجلب أبي ويخبره أنني طالب مهمل وباقي الكلام الذي تعودتم عليه. عدت مع أبي إلى البيت وطول الطريق لم يهمس أي كلمة، وهذا ما كان يرعبني. عندما وصلنا إلى البيت أخرج حزامه الحديدي وأخذ يضربني ضربات فقدت الإحساس من بعدها. ومنع عني المصروف. يا للواقع الأليم، حتى عيني محرومة من البكاء. ماذا أفعل في نفسي؟ حتى الشخص الذي كنت أدافع عنه لم يتفهم حالي وأخذ يضربني، لم يصدقني حتى وصدقهم. دخلت إلى الحمام حتى أبكي بدون أن يراني أبي حتى حتى جاء أبي وشاهدني

أنني كنت أتخيله يراني، وعندما خرجت ورآني على ذلك الحال أخذ يضربني أكثر وهو يقول (لا بكاء للرجال) وأخذ يكررها.

في اليوم التالي عندما حاولت الدخول إلى المدرسة أخبروني بأنني مفصول من المدرسة لهذا العام ولا يمكنني الدخول. وهذا ما جعلني أعمل مع أبي في الحلاقة والتجارة، أسافر معه تحت الشمس الحارة والطيور تغرد فوق رؤوسنا، لأول مرة أشعر أن غريد الطيور نقمة على آذاني. كنت أعمل بلا توقف، كنت أتمنى النوم حتى وأنا واقف، التعب امتلكني، والمشقة أحبتني، ولم تسألني في مرة إن كنت قد بادلتها نفس الشعور. ضاعت من عمري سنة، أصبحت في مستوى أخي التعليمي، ويا ليتها كانت كذلك، فعندما أردت أن أسجل للسنة التي تليها منعوني من التسجيل. أكملت عملي مع أبي، أعطاني أبي محل الحلاقة بالكامل وذهب هو يعمل بالتجارة، كان يأتي صديقي بلال ليساعدني في المحل عند غياب أبي في الصيف لكن مع بدء الدوام الدراسي الجديد لن يستطيع القدوم بسبب سنة تخرجه من المدرسة. في يوم من الأيام، كان أبي قد خرج للتجارة منذ أسبوع تقريبا، وفي العادة يستغرق يومين على الأكثر، لكنه عندما عاد كان على وجهه آثار التعب والمشقة، أخبرته بأن يأخذ قسطا من الراحة ففعل. لكن بعد الدقائق المعدودة طرق أحدهم الباب وبقوة. من هناك؟! هذا ما خطر على بالي في الثانية الأولى، لكن طرقات الباب لم تجبني، فتحت الباب حتى صرخ في وجهي رجل الأمن: أين والدك؟

يوسف: ماذا حدث؟

رجل الأمن: قلت لك أين والدك؟

يوسف : حسن، إنه في الداخل

ذهبت وطلبت من والدي الحضور، وعندما جاء إليهم قال: ماذا هناك يا حضرة الضابط؟!

رجل الأمن: وصلتنا أخبار بأنك تتاجر بالمخدرات هل هذا صحيح؟ أخبرنا حتى لا نتعب أنفسنا.

الأب: ماذا تقصد يا سيدي؟ أنا رجل كبير ولا أقوم بمثل هذه الأعمال .

رجل الأمن: هيا فتشوا بيته كاملا.

أسرع رجال الأمن بتفتيش جميع أنحاء المنزل، ولم يتركوا جزءا من المنزل لم يفتشوه، ولم يجدوا أي شيء مما كان يقوله ذلك الضابط. تجمع سكان المدينة أمام منزلنا، ما هذا العار الذي وصلنا إليه، أبي الذي يهمه كلام الناس أصبح حديث الناس، لكن ما وصل إليه في النهاية أن الجميع دافعوا عن أبي وأخبروا الضابط أن أبي لا يقوم بمثل هذه الأعمال. صدقت الشرطة هذا الكلام واعتذروا من والدي الذي اصفر لونه وعاد إلى نومه مرة أخرى. كل ما في الأمر أن هذا اليوم أصبح بمثابة بداية حياة جديدة لأبي، فلم يبق أي أحد في المدينة لا يعرف أبي، وبماذا ، بأخلاقه الحسنة والذي لا يرتكب الأخطاء، وهذا بالطبع عاد بالفوائد، فأصبح الجميع يأتي بالوفود إلى محل أبي، وأصبح السفر كلمة قصيرة المدى، فالتجارة تأتي إلى بيتنا بدلا من الذهاب إليها.

*****

الفصل الخامس

(أصدقاء جدد)

"لا تحاول جذب العقول بمدحك لنفسك، ولا تحاول إظهار قدراتك بالتفاخر بالنفس أمام من لم يسألك عنها، وثق بقدراتك قبل أن تجعل الناس يثقوا بها، وتواضع ونم في قوقعتك قبل أن يهدمها من هو أعلى منك، فكما قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله "إذا مدح الرجل نفسه ذهب بهاؤه""

تخرج صديقي بلال من المدرسة، وأصبح أخي في الصف العاشر الثانوي وأنا ما زلت في الصف التاسع المتوسط، شيء محزن عندما تجد نفسك تكبر أقرانك بسنتين، تشعر أنك فاشل بينهم، تشعر نفسك محبط لا رغبة لك بالدراسة، لكن الوضع هنا قد اختلف، فعندما نقلت مدرستي إلى مدرسة أخرى، هذه المدرسة أصبحت تعرفني بسبب أبي الذي سمعته تحكي عنه وعن أخلاقه الطيبة، الغريب أن أبي لم يصنع معجزات ليثبت أخلاقه، بل كانت ربما صدفة أو فرصة ليعرف الجميع أن هذا التاجر يتاجر بالخير لا أكثر ولا أقل. أكملت العامين المتبقيين، وتخرجت من المدرسة بامتياز كعادتي، وأردت أن أختار مجال دراستي في الجامعة، لكن لم أفكر في مجال معين من قبل، أفكر أحيانا بعلم النفس فأنا أجيد هذا المجال في حياتي الخاصة، غير أنني أعشق أي شيء يذكرني بالنفس وعلومها، كنت دائما أشعر أنني مريض نفسي، أو أنني أعاني من بعض الاضطرابات العقلية او النفسية لا أعلم، لكن هذا لا يعني أنني غير عاقل، بل

أشعر أحيانا أنني لابد من أن أزور أحد الأطبة النفسيين فأخبرهم بقصتي وهل هذا طبيعي أم ماذا، وفي الحقيقة معظم أطباء علم النفس يصابون بمرض نفسي أو عقلي جراء مقابلاتهم المجنونة مع مجانين مختلفين، هذا لا يهم، لكنني اخترت هذا المجال وأنا على استعداد أن أكمل حياتي مع علم التخاطر العقلي الذي أدخلني علم النفس من أوسع أبوابه، فأنا أؤمن وبقوة بفكرة التخاطر العقلي، وهذا ما سيشجعني على تكملة هذا المجال والخوض في تخصصاته المتعددة لأستكشف غوامض هذا المجال السري.

سافرت من بلدي المغرب إلى دولة أجنبية أستطيع من خلالها دراسة هذا المجال، فمن المؤسف أن أجد العديد من هذه المجالات الرائعة والجديدة خارج عالمنا العربي بمستويات عالية ولا أجدها في منطقتي، وهذا ما جعلني أسافر إلى تلك البلاد. تعرفت على أشخاص جدد وبشخصيات مختلفة وهذا ما يتطلبه مجال دراستي، في كل يوم كنت أتعرف على العديد والعديد من الشخصيات، لكن لم أقابل في حياتي شخصية كتلك الشخصية التي قابلتها بالأمس والتي لم ولن أجد مثلها في حياتي المستقبلية أبدا. كانت مجموعتي الدراسية مكونة من ٤ أشخاص، (حاتم، عزيز، عمر،مؤمن) كنا كاليد الواحدة في كل شيء، كنا نعيش في نفس البيت الذي استأجرناه بالقرب من الجامعة. كنت قد تعرفت عليهم من مواقف مختلفة جمعتنا نحن الخمسة. فلقد تعرفت على عزيز في بداية العام الدراسي إذ كان يقف بجانبي عندما أردت أن أدفع مصاريف الدراسة، وأخذنا الحديث عن الدراسة والجامعات، وكان هذا الشاب الإماراتي في قمة الاحترام والأدب مما دعاني أن أطلب منه العيش معي نتقاسم مصاريف السكن، فوافق. أما حاتم فقد تعرفت عليه هو ومؤمن من صديقي عمر الذي كان معي في نفس الفصل،

وكان هذا الشاب قمة في الذوق والأدب وهذا ما جعلني أرتاح عند الحديث معه، وكان محل ثقة كما كنت أسمع عنه، وكان يعاني من العيش في هذه البلد بحكم أنه لم يتعلم لغة البلد، فقد جاء من مصر من أجل الدراسة، وكنت أجد علامات الحيرة على وجهه في بداية العام الدراسي، لم يكن من النوع الذي يتكلم كثيرا حتى يخبرني بقصته، لكنني بعد أن اقتربت منه أخذنا الحديث إلى ما كان ينبغي، فقد أخبرني أنه يعيش في فندق بعيد عن الجامعة، ولم يجد أي منزل مناسب ليقيم فيه، فأخبرته بأن يسكن معنا أنا وعزيز ،و لكن بعد أن علمت أنه لا يملك المال الكافي لمصاريف السكن طلبت منه بأن يسكن معنا وبدون مقابل، لكن بدون أن يخبر عزيز عن أي شيء. في البداية لم يوافق لكن أحيانا لا نوافق على أمور يلزمنا فيها الواقع الأليم فنوافق رغما عن أنفنا. عشنا نحن الثلاثة في هذا البيت نتقاسم المصروف بيننا، وكنا على استقرار حتى حدث ما حدث. لدى عمر صديقان كما أخبرتكم عنهم من قبل، حاتم ومؤمن، كان حاتم يتصف بالنباهة وبعض التكبر، كان لا يحب أن يؤخذ عنه صفة الشخص الجاهل، فكان عند طرح أي سؤال تجده يبادر بالجواب حتى وإن كان مخطئا، لكن أحيانا يصدر بداخلنا أصوات تخبرنا بأن تتولى قيادة المحادثات، التي يلفت الأنظار إلينا، وكان حاتم من الطلاب الفائقين في الفصل، لكنه كان غير محبوبا بين الناس، لصفة أخبرتكم عنها من قبل. أما مؤمن فكان شخصا مخلصا إلى أبعد الحدود، يحب أصدقاءه كثيرا، لا يمكنه الاستغناء عنهم في أي لحظة واحدة، لأسباب سأحاول معرفتها، لكن ما كان يعيبه أنه لا يهمه ما يقوله، يرمي بالكلمة ويقوم بنسيانها في الثانية التي تليها، يتكلم ويتكلم ويشتكي لسانه منه، وهذا ما كان يزعج أصدقاءه منه. من الوهلة الأولى أردت

أن أكتشف عوالم هذه الشخصيات، بصفتي أتعلم علم النفس، والشيء المزعج هو أننا جميعا ندرس في هذا المجال، والأكثر إزعاجا هو عندما تجد شخصا يتعلم علم النفس ويقابل العديد من المرضى والعديد من الشخصيات التي امتلكتها الاضطرابات السلوكية والوجدانية ويريد تطبيق كل ما تعلمه في مجاله على جميع الأصناف من البشر، فيتهم الشخص السليم بالتخلف لسلوك قام به، أو يحكم على الشخص السعيد بأنه وحيد لموقف رآه، وهذا ما كان يزعجني في طلبة الفصل، الجميع يعتقد بأنه هو طبيب الجيل وأنه يفهم جميع الشخصيات، وأنه قادر على تحليل العقل الباطني لعقول البشر ، فيتخذ كل من حوله مريض، وهو الطبيب الوحيد الذي يعالج تلك العقول المريضة.

*****

الفصل السادس

(نسخة بشرية)

"من السهل جدا أن يكون لك صديق، لكن أن يصدقك فعلا فهذا أمر صعب."

في يوم من الأيام، كنا في المنزل نتحدث عن الدراسة أنا وعزيز وعمر، وبعد فترة ليست بوجيزة، اتصل مؤمن على عمر وأخبره بأمر ما، هل هو أمر خاص جدا أم ماذا؟ لأنه لم يخبرنا أي شيء عن تلك المكالمة، والغريب في الأمر أنها لم تكن مكالمة عادية، بل عند المكالمة احمر وجه عمر وأغلق الهاتف فورا. شيء عجيب، لم يلاحظ عزيز ما لاحظته أنا، وربما حتى لم ينتبه إلى اسم المتصل، لكنني أنا أدقق في مثل هذه التفاصيل وأتابع جميع اللحظات والأمور الدقيقة والتي غالبا ما تكون لا تعنيني، ولا يجوز لي أن أعرفها حتى، لكنها الطبيعة البشرية التي تكمن في الفضول الداخلي العقلي والتي تجاوزت حدها عندي، لأمور قتلت جمودي وأنا صغير، جعلتني أتحمل المسؤوليات ومن ثم ألاحظ التحركات، وبالفعل للواقع أثر كبير في ذلك، جعلني أرتعب منه ومن سماع لفظه، جعلني أتوقع منه كل شيء لا تتوقعه الأذهان، وفي كل مرة يخطر ببالي أن شيئا ما ينتظرني، لا أعلم، ربما أنا الذي أنتظره ليأتي لكن هنالك أمر صاعق سيحدث في المستقبل البعيد. كل ما في الأمر أن أحدهم كان وراء الباب في الساعات المتأخرة من الليل، من هناك؟ كنت قريبا من المطبخ حتى أجهز نفسي لأي ردة فعل. كان يحاول فتح الباب لكنه لم يستطع. عزيز كان في الداخل، وعمر كان أيضا في الداخل، إذا من

وراء هذا الباب؟! وفي النهاية استطاع فتحه. هنا تخلت عني ضلوعي وسافرت، هنا اهتز بدني وارتعش، أمسكت بالمقلاة حتى أضربه بها، بمجرد أن فتح الباب كان شيئا لم أفهمه إلى الآن. وجهه ملون بألوان الطيف، وملابس كجلد الأسود ومعه عصا بيده، ما كان مني غير أن ضربته على رأسه بالمقلاة ضربا عنيفا وعدة مرات حتى سقط على الأرض. رآى عمر هذا المشهد (المخيف) بالنسبة لي وصرخ: ماذا فعلت يا أحمق! هذا مؤمن، هل جننت؟!

مؤمن؟! وماذا أتى بمؤمن في هذه الساعة المتأخرة من الليل؟ وماذا يرتدى مؤمن ولم كل هذا؟

كان عمر يحاول إيقاظ مؤمن من الإغماء الذي أصابه وقال: إنه يوم ميلادك يا أبله، كانت ستكون ليلة استثنائية لك وأردنا أن نفاجأك بها، لكنك لا تحسن التصرف.

هل سرعة البديهة أصبحت سوء تصرف؟! لم أكن أعلم ذلك. حاولنا إيقاظ مؤمن لمدة دقائق ثم استطاع أن يفيق وهو يقول الكلمات المشهورة التي يقولها الجميع (أين أنا؟ وماذا حدث؟).

يوسف:ماذا أتى بك إلى هنا يا مؤمن في هذا الوقت المتأخر من الليل؟

مؤمن: لقد أتيت لأقضي هذه الليلة معكم، لنحتفل بيوم ميلادك .

يوسف: لقد نسيت أن اليوم هو يوم ميلادي، ومع هذا فأنا لا أستطيع أن أن أقوم بأي شيء، فلدي أمور مهمة يجب أن أنتهي منها.

و دخلت غرفتي على الفور. لا أعلم إن كان ما فعلته هو الصواب لكن كل ما كان يشغل تفكيري هو حالي في هذا البيت. بدأت أشعر أن مكاني ليس هنا وإنما مكاني هو

عالم خاص بي، أنا فقط، أحيانا تشعر أنك بحاجة للجلوس أمام نفسك، تقاضيها إما الإعدام وإما الحرمان من أمور كانت تعشقها، هذا الشعور هو الذي انتابني وقتها، روحي خاطبتني (هل أنت على ما يرام؟)، لم أجد جوابا لأجيبها، أحيانا يجب أن تقيم الأمور التي لم تقم بها بعد حتى تقوم بها على أكمل وجه، وهذا ما فعلته. منذ صغري كنت عندما أشعر أن روحي قد خرجت مني، أتخذ قرارات كبيرة فقط لأستعيد روحي، كنت أضحي من أجل أمور كانت سببا في استقراري وسعادتي، لكنها كانت تخالف سعادة روحي فأستبعدها فورا من قائمة حياتي. لا أعلم إن كان هذا الشيء إيجابيا أم سلبيا لكنني كنت أفعله، وكان صعبا علي أن أتغير فهذا أنا، ولن يغيرني سواي، ولم أكن أتوقع أن يغيرني عقل كعقل تلك الشخصية الباهرة التي سأخبركم عنها، فقد غيرتني بالكامل وإلى الآن لم أعرف سرها الفعال، لكنني سأعرفه في نهاية قصتي. التقيت ذات يوم بفتاة تدعى(جوان)، هذه الفتاة منذ أن رأيتها في المرة الأولى اعتقدت أنها خيال، اعتقدت أنها ليست في عالمنا، كنت أعتقد أنها خارج نطاق الواقع الذي نعيش فيه، فقد كانت نسخة بشرية مني، نعم كانت تشبه ملامحي وتشبه ملامح روحي التي أخبركم عنها، وتشبه عقلي الذي لم أجد مثله أبدا، هل يعقل هذا؟! كانت هي أنا ولكن النسخة الأنثوية، بمجرد أن أفتح شفتاي للنطق تكون قد فهمت ما أقصده، بنظراتي تؤشر علي، وبنبض قلبي تحس بي، تجرأت وتقربت منها شيئا فشيئا، تعمقت معها خلال الأيام، أصبحت لا أجد السعادة إلا معها، وهذا شيء طبيعي، فالإنسان لا يجد راحة أفضل من راحته مع نفسه. مع أن ملامحها لم تكن جذابة إلا أن ما لفتني هو طريقة كلامها وأسلوبها، وحتى عقلها المدبر. أمضينا ما يقارب السنتين

معا، لم أفكر في أي شيء سوى أننا كنا ندرس سويا، ونقضي معظم أوقاتنا سويا. إلى أن جاء يوم انقلبت من بعده كل الموازين. في يوم من الأيام استيقظت من النوم مبكرا، ذهبت وأحضرت قهوتي الصباحية مع قطعة الكعك الذيذ وجلست على الأريكة. كنت أفكر وأفكر، وهذا شيء طبيعي أقوم به كل يوم، لكن الأمر الذي لم يكن طبيعي هو زيارة شعور جديد إلى روحي، جاء لقلبي إحساس لم أشعر به من قبل بتاتا، كان هذا الإحساس هو شعوري تجاه جوان. مع مرور السنتين لم أفكر في لحظة أن أحبها. ولماذا الآن؟! لماذا لم أفكر في هذا من قبل؟! لقد جلست أفكر ماذا لو تزوجتها وقضيت معها عمري المتبقي، ومع من؟ مع الشخص الذي يشبهني تماما، مع الشخص الذي أشعر بسعادتي معه، كان لابد من أن أستشير أحدا ليساعدني في الوصول إلى حل، وبالطبع لم يكن لدي أحد سوى هذا الشخص الذي أثق به دائما (عمر). ذهبت إليه فوجدته نائما، لم يكن لدي حل آخر، فبدأت بإيقاظه من نومه، وبالطبع فزع من الطريقة التي أيقظته بها لكن أخبرته بأنني أريده في أمر هام في الصالة، ما كان من ذلك الشخصية الرائعة التي لطالما كان يخلص لأصدقائه ويسعى لسعادتهم إلا أن يذهب ويغسل وجهه ويتجه إلى الصالة، وهنا بدأت قصتي.

*****

الفصل السابع

(التفكير في الواقع أمر ممل)

"ثق بالله وابتسم عندما تتخيل ما قد يكافئك به، وبعدها استعد للأجمل."

أخبرت عمر عن كل ما كان ببالي، عن كل شيء بالتفصيل الممل، أعلم أنني أدرس علم النفس، أعلم ذلك، لكنني كما قلت في بداية قصتي أشعر أنني بحاجة لأزور طبيب نفسي ليتفهم حالي، أشعر أن بداخلي كلام لن ينتهي أريد أن أخبره لأحد، وعمر هو الشخص المناسب الذي سيتحملني ومن ثم سيتفهمني وأتمنى أن يعطيني بعضا من نصائحه.

يوسف: بصراحة يا عمر، أنا أشعر أنني أحبها، لكن حبي لها كحب لن ينتهي، أصبحت أفكر بها وكأنها لا تخرج من بالي، كلما حاولت التفكير في شيء ما تقطع حبال تفكيري وتجبرني على التفكير فيها، إن هذا اليوم هو أول يوم يخطر على بالي هذا كله، لكنني متأكد من أنها ستظل متمسكة بحبال عقلي خوفا من السقوط في بئر المتاهات، العجيب بالأمر أننا نشبه بعضا البعض في كل شي، في كل شي يا عمر، في الشخصية وفي التفكير وفي التنظيم وحتى في المواقف الحياتية، هل يمكنك أن تتخيل أن الأمور التي حدثت معي منذ زمن بعيد وقبل أن أعرف أي منكم، كلها حدثت معها بنفس الترتيب والدقة، وحتى في نفس الوقت ! هذا شيء لا يعقل، هذا الشيء لم أره إلا في حكايات (الكرتون) وقصص الخيال التي لا واقع فيها، أنا أتحدث اليك وبكل شفافية

هذا ما حدث بالفعل. لقد أخبرتك من قبل أن والدتي قد تطلقت من والدي، وأن والدي هو من اهتم لأمرنا وساعدنا لنقوم على أرجلنا، وأن والدتي أهملتنا ولا تعرف أي شيء عنا، أخبرتك بذلك كله، هل تصدق أن الأمر ذاته حدث مع جوان ! والدها قد طلق والدتها لكنها تربت عند والدتها، ووالدتها هي من ساعدتها على النهوض وعلمتها ما علمتها، ووالدها لم يسأل عنها ولو للحظة، إنه الأمر ذاته، حتى أن لديها أخ قد مات إثر تعرضه لحادث سير وهو ما حدث مع إخوتي من قبل. هذا كله لم يكن صدفة، فهذا واقع لا يمكننا الهروب منه.

عمر: لكنك قلت من قبل يجب أن نهرب من واقعنا.

يوسف: لكن ليس هنا، ليس هنا يا عمر، أنا أحبها ولا أريد أن أخسرها، هناك أشخاص في واقعنا نتمنى الحصول عليهم بصفات معينة تجذبنا، لا يمكننا الخضوع لأمر هذا الواقع ونتخلى عنهم عند توافرهم، لقد عانيت في حياتي كثيرا يا عمر، لقد تعبت تعبا استنكر لوجوده التعب، ولم أتمنى في حياتي أي شيء سوى السعادة في هذه الحياة، وهأنذا أرى السعادة بأم عيني وتريدني أن أفقده.

عمر: لم أقل لك أن تفقده، لكن عليك أن تفكر جيدا كيف ستخبرها بذلك، لأنك إن لم تحسن التصرف ستخسرها.

يوسف: لا أعلم، سأفكر جيدا اليوم، وربما سأخبرها غدا في الجامعة.

أثناء حديثي مع عمر كانت هنالك آذان صاغية، تسمع لكل الكلمات التي كنا ننطقها، (عزيز) كان ينصت لما نقول، وهبت نار الغيرة والحسد في قلبه، اتصل على حاتم ومؤمن وأجروا مكالمة دامت لدقائق لكن بعدها خرج من البيت لساعات طويلة.

عمر: أريد أن اطرح عليك سؤالا، هل في نظرك ستكون هي أيضا تبادلك نفس الشعور؟

يوسف: في الحقيقة أنا متأكد بأنها تحبني، لكن كلانا لا يعرف كيف يتصرف، وكما أنا الآن حائر في أمري، هي أيضا الآن وفي نفس الوقت حائرة في أمرها.

عمر: إذا أخبرها بأنك تريد أن تقابلها بالغد وجهز الكلام الذي تريد أن تخبرها إياه وكن واثقا من نفسك ولا تخف، وستجدني معك في أي لحظة احتجتني فيها.

يوسف: شكرا لك يا صديقي.

ذهبت إلى غرفتي أفكر فيها، جلست أفكر بكل كلمة يمكن أن تقولها، والحوارات التي ستدور بيني وبينها، حتى حل نصف الليل وأنا مازلت أفكر.

رجع عزيز إلى المنزل وذهب إلى الصالة، لماذا تأخر في الرجوع؟ ذهبت إليه فوجدته جالسا مبتسما!

يوسف: ماذا حل بك يا عزيز؟

عزيز: لا شيء، لماذا تسأل؟

يوسف: فقط لأنك لم تعتد على الرجوع في هذا الوقت المتأخر من الليل.

عزيز: كنت مع أصدقائي حاتم ومؤمن، وهم على قدوم الآن.

يوسف: الآن! إنها الساعة الثانية عشرة في منتصف الليل يا عزيز ، ماذا تقول.

عزيز: وماذا بها ، هذا بيتي وأنا حر أفعل ما شئت.

يوسف: عزيز كف عن مضايقتني وإلا سأضربك.

عزيز: هيا قم بذلك.

لم أستطع تحمل هذا الصداع، فقمت بالخروج من البيت وطرقت الباب بعنف في وجه المقصود. وعند النزول من الدرج وجدت حاتم ومؤمن في قدومهم نحو البيت.

حاتم: إلى أين أنت ذاهب يا يوسف؟

يوسف: لماذا تسأل؟

حاتم: ماذا بك يا صديقي، هل أنت على ما يرام؟

يوسف: نعم أنا على ما يرام، ماذا عنك؟ أقصد ماذا عنكم؟

حاتم: بخير بخير، هيا اذهب إلى حيث قصدت.

يوسف: لن أنتظر تعليماتك يا هذا هل سمعت؟

مؤمن: ماذا بك يا يوسف هدئ من روعك يا صديقي؟

و بعدها تركتهم وذهبت إلى الشارع في الظلام الدامس. لماذا هذا هو واقعي؟ لطالما كان بيني وبين الناس عداوة، لا أحبهم ولا يحبونني، نظراتي الحادة تزعجهم، وكذلك كلامهم الجارح يزعجني، كنت دائما ما أبحث عن نفسي داخلهم فلا أجدني، لا يشاركوني أي شيء معهم، كنت وما زلت وحيدا، حتى الشخص الوحيد الذي أحببته لا أعلم إن كان يحبني أم لا، يا لهذا الزمان، سأخبرها غدا، غدا وليس بعد غد، فإما أن تتغير حياتي للأفضل، وإما سأخسر إنسانا غير روحي وستتغير حياتي من بعدها للأسوأ. وفي اليوم التالي، وعلى غريد الطيور الذي أكرهه، والذي يذكرني بالماضي القاسي، استيقظت بنشاط فاني، لم أنم على الإطلاق، أو لنكون أكثر واقعية فهذا الواقع يحب نفسه فقد نمت لساعة واحدة فقط، وفي هذه الساعة حلمت بحلم غريب. لم أعتد أن أحلم في حياتي لكن في تلك الليلة حلمت حلما غريبا، حلمت ب (جوان)، نعم

حلمت بها وكانت تلقي علي كرات صغيرة، لكنني كنت أتألم من تلك الحجار مع أنها مثل الحصى. لم أفهم ما ذلك الحلم، في الحقيقة لقد توترت، لا أعلم السبب، خرجت من البيت وأرسلت لها رسالة أنني أريد مقابلتها، فوافقت. وأنا في طريقي، وكل دقة من دقات قلبي تطير وتتسابق، إحداها يطير فرحا والأخرى تطير خوفا، هذا السباق في الطيران حملني إلى عالم غريب مهجور من الضياع، إلى عالم الأحلام الذي سيريحني من التفكير في الواقع، لكنني عندما رأيتها من بعيد بحثت عن نفسي فلم أجدها معي.

*****

الفصل الثامن

(رأيتهما معا)

"احذر ألف مرة من الذي تعطيه فرصة أخرى."

جلست معها بدون كلام، تعجبت هي من هذه المقابلة التي كانت علامة استفهام أكثر من أنها علامة تعجب، فهي تفهمني من نظراتي وملامح وجهي، فهمت أنني أريد أن أخبرها بأمر ما لكنها عجزت عن معرفته. مضت الساعات وبدأ الكلام يخرج شيئا فشيئا، جلسنا ما يقارب الخمس ساعات نتحدث. بعدها ودعتها وودعتني وعاد كل منا إلى بيته. عدت إلى البيت وكان عمر ينتظرني لأخبره ما حدث معي، لكن عزيز كان جالسا هو أيضا في نفس الصالة التي كان يجلس فيها عمر. نظر إلي عمر نظرة (هيا أخبرني) لكنني أشرت إليه بأن ينتظر خروج عزيز من الصالة. (ألن يخرج؟!) هذا كل ما كان يشغل بالي، فكنت على أحر من الجمر، كانت بداخلي نار تشتعل، نار تريد أن تتكلم، لا أستطيع أن أنتظر أكثر. عزيز ينظر إلي وكأنه يعلم بالذي سأقوله، في هذه الحالات التي نادرا ما تحدث، تظهر لي تلك الشخصية التي تعودتم عليها (أمي) ، ماذا تريد مني؟! لماذا أسمع أصواتها دائما في مثل هذه الحالات!؟ هل للتخاطر العقلي يدا في ذلك؟ هل لأن عقلي دائم العمل فيستحضر أصوات أشخاص أثرت في حياتي؟! العجيب في ذلك أن أمي عندما تحضر أسمعها تقول أمورا لم أسمعها منها من قبل وأنا

صغير، كأن تقول (أحبك يا بني)، لم أعرها اهتماما، فقد تعبت من الانتظار، ولم يخرج عزيز من الصالة، ونمت نوما عميقا أكمل للصباح التالي.

رنات هاتف محمول أيقظتني، لا لم تكن هاتف محمول، بل كانت أضغاث أقوال لم أفهمها، وهذا لم يكن أمرا جديدا، لكن الجديد في الأمر أنني استطعت أن أميز هذه المرة صاحب الصوت، إنه... إنه ... لابد من أنه عزيز لكن ماذا يقول؟ سمعته يكلم أحدا في الهاتف، ويقول(لنجعلها في تمام الساعة الرابعة عصرا). تجعل ماذا؟ أنا لا أفهم. بدأ الشك يخدع عقلي، نهضت من السرير وقمت إلى الصالة بحثا عن عمر، فوجدته جالسا على الأريكة.

يوسف: صباح الخير يا عمر

عمر: صباح الخيرات يا يوسف، كيف أصبحت؟

يوسف: لا أعلم، لا أعلم يا صديقي هل أصبحت بخير أم أصبحت على أمور لم أفهمها.

عمر: هيا أخبرني ماذا حدث معك في الأمس؟ هل أخبرتها؟

يوسف: لا

عمر: ماذا تقول؟! لم تخبرها! لماذا ؟!

يوسف: لا أعلم، هنالك أمر ما منعني، ما زلت أبحث عن هذا الأمر. عمر أنا في أسوأ أيامي، لقد تعبت نفسيتي، وانهارت عقليتي، لم أعد أفكر أي شيء، وإن فكرت لا أحسن التصرف. لقد انهار كياني عندما رأيتها، لا أعلم، لم أملك الجرأة لأخبرها بكل ما كنت أشعر به، تحدثنا كثيرا لكن لم يكن في الحب، يا إلهي أصبحت أرتعش عند

سماعي لتلك الكلمة، أصبحت لا أحلم إلا بها، ولا أفكر إلا بها، حتى إن أردت أن أتخذ أي قرار، أتخذ قرارا خاطئا لأنني كنت أفكر بها، ما الحل لواقعي المزعوم؟

واقعي الذي لا يتركني وشأني، كلما فكرت بالهروب منه أجبرني على الرجوع إليه، أجبرني على تقبله بمذاقه السيء الذي لا يُنسى.

عمر: وما الحل إذا؟

يوسف: لا أعلم يا عمر، ربما سأنتظر قليلا، ربما لو أخبرتها الآن ورفضت قد أخسرها نهائيا، وهذا ما قد يهوي بي إلى الهاوية .

تركت عمر في الصالة وذهبت إلى غرفتي، وبينما أنا في طريقي وجدت (عزيز) مرتديا ملابسي وباتجاهه نحو باب المنزل. لماذا يرتدي ملابسي؟! وإلى أين هو ذاهب؟!

يوسف: عزيز، لماذا ترتدي ملابسي؟

عزيز: مم في الواقع لقد نسيت ملابسي مبللة ولم أقم على تجفيفها إلى الآن.

يوسف: لكن هذا لا يمنعك من أن تسألني.

عزيز: يمكنني أن أخلعها إن أردت؟

يوسف: لا، لا يهم، هيا لا أريد أن أتركك تتأخر على موعدك الغرامي.

عزيز: هههه لا بل سأقابل صديقي لم أره منذ زمن بعيد.

لا أعلم لماذا لكنني لم أصدقه، تركته يذهب، لكنني لم أذهب. تبعته بخطوات ناعمة، ومع كل خطوة اشتد الفضول، تسارعت ضربات قلبي بسببها، أفكر بأمور شتى، خطر على بالي عدة أشخاص، لكن لم يخطر على بالي ذلك الشخص. شاهدته يسلم عليها، ويجلس معها، وهي مبتسمة، ارتجفت عيناي، لم يحملني عقلي، لم أستطع أن

أشاهد بسبب أقدامي، عيني لم تفكر، ووجهي لم يسمع أي همسة مما قالاه، نعم كان يجلس مع (جوان) ، الشخصية التي تشبهني تماما، لكنني من الآن لا أشبهها، فأنا لا أقوم بمثل هذه الألاعيب، لقد وعدتني بأن تخبرني بكل خطوة تقوم بها، ووعدتها بالمثل، لمَ لمْ تخبرني بهذا؟! انظروا إليها كم هي سعيدة! هل هنالك علاقة تجمعكما ببعضكما أم ماذا؟! هل أنتِ سعيدة هكذا؟! وأنا كالأحمق ظننتها تحبني، يا للعقول التي لا تذوب، لم أذق طعم هذه الحياة، طعمها الذي أذاقتني إياه أمي التي حضرت في ذلك الموقف الذي أصابني بالقشعريرة، همست في أذني تقول (كل شيء سيكون على ما يرام) لا يا أمي لم يمض أي شيء على خير في هذا الواقع الذليل، هذا الضيم الذي يلاحقني صغيرا وكبيرا، حتى الشيء الوحيد الذي أحببته في حياتي يسلبه مني كالفقير الذي أعطاه الله مالا ليتنعم به فجاءه سارق نهب كل نقوده وهو لا حول له ولا قوة. أردت بكل قواي أن أهرب من ذلك المشهد الذي أزعجني فلم أستطع، لكنني أجبرت نفسي على الرجوع. عدت إلى المنزل وفي عيناي الكثير، لم أستطع التخلي عن أي دمعة من دموعي، فهنالك أمور أعظم تنتظرني لأتخلى عنها. رآني عمر من بعيد.

عمر: يوسف، ماذا بك يا صديقي؟!

لم أنطق بأي كلمة. لكن قلبي كان يصرخ، لو أنه جوان لفهم ماذا أقول.

عمر: يوسف هيا تعال معي إلى الصالة.

ذهبت معه ووجهي يقابل الأرض التي اشتقت لها، لم أتعود أبدا أن تشاهد الأرض وجهي على هذا الحال، لقد كانت الأرض تتشقق عند صعودي عليها، كم كنت قويا عندما كنت لا أسمح لأحد بأي يمس كرامتي.

عمر: يوسف، اهدأ وأخبرني بما حدث معك.

يوسف: لقد كنت على حق، كان لابد من أن أكلمها بالأمس، لكنني تأخرت، وذلك الأحمق الذي يدعى عزيز أخذها مني بسهولة، أنا لا أفهم لماذا فعل هذا كله، ألهذه الدرجة يكرهني؟! هل يريدني أن أقطعه إربا حتى يتعلم؟

عمر: هل رأيت عزيز وجوان معا؟! يوسف: رأيتهما معا وكانت سعيدة جدا بذلك.

عمر: حسن اهدأ، لا تقم بأي فعل أحمق تندم عليه فيما بعد، خذ نفسا عميقا ومن ثم سنفكر نحن الاثنان في الحل، ولا تقم بأي فعل خاطئ عندما يأتي عزيز إلى المنزل هل سمعت؟ أنت متهور وأنا أعلم ذلك، لكن هذا قد يهدم كل شيء سنخطط له، هل هذا مفهوم؟يوسف: حسن لا بأس.

عمر: بماذا تفكر؟ ما هو منتهى تفكيرك؟

يوسف: أفكر في الانتقام..

عمر: تفكر بماذا؟! الانتقام! وبمن ستنتقم؟

يوسف: سأنتقم من جوان..عمر: ماذا! هل جننت يا رجل؟! أنتم لم تكونوا على علاقة حتى، فكيف لك أن تنتقم؟ أعني أنها لن تهتم لأمر كهذا.

يوسف: بل ستهتم، أنا أعرفها، كنت أقابلها كل يوم بلا انقطاع، لكن بعد أن أكون على علاقة مع فتاة غيرها ستجدها تلهث من كثرة الركض.

عمر: وهل تجد هذا هو الحل المناسب؟؟يوسف: بالطبع، وسأريك ماذا سأفعل.

عمر: إذا لا تخبرني أي شيء عن تصرفاتك ما دمت لا تأخذ بالنصيحة وافعل ما يحلو لك..يوسف: كما تريد.

الفصل التاسع

(زليخة)

"عند أي إنجاز ولو بسيط، كافئ نفسك بهدية واكتب عليها (لقد فعلتها يا بطل)، جربها لأنك ستعيدها."

في الصباح التالي، استيقظت من النوم مبكرا حتى يتسنى لي العمل بكل طاقة وحيوية، أمسكت هاتفي المحمول وفتحت أقلب الجوال فوجدت رقم إحدى صديقاتي في المدرسة كان اسمها (زليخة) وكانت من الجزائر ، أرسلت لها رسالة نصية أخبرها بأنني يوسف الذي كان معها في المدرسة، وعندما أجابت سُرت للغاية عندما عرفتني، وتبادلنا الحديث مع بعضنا البعض وأخذنا الكلام إلى أيام بعيدة قضيناها في المدرسة الثانوية، والعجيب في الأمر أنها صارحتني بأنها كانت تحبني أثناء الثانوية العامة لشجاعتي وأنها لم تستطع إخباري بهذا الشيء وقتها، عندها أردت أن أخبرها بأنني الآن أحبها وأريد أن أتعرف عليها أكثر وأكثر، فوافقت. يوم بعد يوم، وتزيد علاقتنا بشكل كبير، نتحدث مع بعضنا البعض في كل دقيقة وثانية، الجميل في الأمر أنها أحبتني أكثر مما توقعت، وهذه الفتاة تعتبر ملكة جمال تمشي على الأرض، كل من رآها تمنى نظرة منها عن بعد. تقابلنا مرارا وتكرارا، ومع كل ساعة نقضيها سويا يزداد تعلقها بي. لم أنقطع عن جوان في تلك الفترة بالتأكيد، فحديثنا وجلساتنا كانت غذاء لعقولنا وللتخاطر العقلي الذي يجمعنا، العجيب في ذلك هو اليوم الذي أخبرت به جوان عن زليخة وعن علاقتنا معا، فقد تعجبت من الموضوع لكنها لم تعر اهتماما كبيرا

للموضوع، فقط نطقت ب (افعل الشيء الذي يجعلك سعيدا). أنا من تعجب من ردها، فقد فعلت هذا كله من أجلها، من أجل أن تحس وتشعر بشعوري تجاهها. لم تكن كما أظهرت لي، بل كانت تهتم للأمر، فقد تغيرت معاملتها معي من بعد أن أخبرتها بأن هنالك من هو في حياتي، وأصبحت تسأل عنها وعن كيفية علاقتي بها. والأعجب من ذلك أن زليخة اقتربت مني أكثر وأكثر، لم يكن هذا هو هدفي، لم أكن أريدها أن تتعلق بي هكذا، لقد أصبحت مجنونها، هل هذا يعقل؟! وأنا في الحقيقة لم أحبها بالدرجة التي أحببت بها جوان، ولقد عجزت عن التفكير. لم أعد أروي أي شي لعمر، فقد وعدته بأن يرى نتيجة عملي، لكنني الآن أنا بحاجة إلى مساعدة. لقد وقعت في فخ تفكيري، ما هذا الذي فعلته يا يوسف؟! هل أنت غبي؟! أنا لست إنسانا عاقلا، أنا لا أزن الأمور! أنت حقا بحاجة إلى المساعدة يا يوسف، ستفسد كل شيء. ذهبت إلى عمر، ونظر إلي نظرة أظن أنني فهمت معناها.

عمر: هل تراجعت عن فعلتك؟

يوسف: في الحقيقة... لا أعلم، سأخسر شخصا ما، هل أخسر نسختي الأنثوية التي تفهمني بنظرة، أم أخسر الشخص الذي أحبني بجنون طوال تلك الفترة ؟ ولا أعلم، ربما إن تركت زليخة وذهبت لجوان وأخبرتها بأنني أحبها سترفضني، عندها سأخسرها ولن أراها ثانية، وبهذه الحالة أكون قد خسرت كلاهما.

عمر: هل انتهيت؟ أولا عليك أن تبحث عن قلبك داخل إحداهما، هل رأيته داخل جوان أم زليخة؟ زليخة أحبتك لكنك لم تحبها بهذا المقدار من الحب، والذي جذبك إليها هو جمالها أليس كذلك؟

يوسف: نعم فهي جميلة للغاية

عمر: الجمال يزول مع العمر، ابحث عن التي تفهمك عندما تفقد القدرة على النطق أو السمع، ابحث عن التي تسعدك بمجرد خطورها على بالك، ابحث عن التي تعطيك عقلها وتفكيرها حين يخدعك عقلك بالتفكير في الواقع، ابحث عن واقع جديد تستبدل به واقعك الذي لا تعرفه، ستخسر بالتأكيد لكن استعد لخسارة القليل بدلا من خسارة الكثير والكثير، أنت تعلم ما أقصده يا يوسف، لا تخسر من سيقف بجانبك حتى وإن رفضك، والله وحده أعلم، ربما لن ترفض وستعيش حياة أفضل من التي تعيشها، ثق بالله وسر في طريقك واثقا، ولا تيأس فالحياة لا تعطي شيئا لليائسين.

يا إلهي كم تمنيت أن أسمع هذا الكلام من قبل، كنت أسمعه من واقعي لكن على شكل سلبي يأمرني بالخسارة الدائمة ويرفض حرية التفاؤل والحب. ذهبت من الصالة إلى غرفتي وأحضرت ورقة وقلم وبدأت بتصفية الأمور. قضيت يوما كاملا في غرفتي ولم يُسمع صوت صرير الباب المزعج. انتهيت من كل الأمور وتأكدت بأن كل شيء على ما يرام وبدأت أعيش الأيام بروتيني اليومي. تعجب في بداية الأمر عمر من الذي أفعله، فقد اعتقد أنني سأقوم بأمر ما بعد تلك المحادثة الطويلة لكنني لم أقم بأي شيء بعدها، فظن أنني لم أقتنع بما قاله لي، لكن في الحقيقة كانت خطة ما تجول في بالي وأنتظر وقتها المحدد ليأتي حتى أقوم بها على أكمل وجه. وبالفعل، أتى ذلك اليوم الذي اتصلت به زليخة على هاتفي المحمول وأخبرتني بأنها كانت منذ يومين تقوم بعملية جراحية في ظهرها وأنها صرفت من الأموال ما صرفت ، فما كان مني غير أن أرسلت

إليها بعض النقود لكن بدون أن تخبر أحدا، وبالصدفة في نفس اليوم اتصلت على أختها وسألتها عن أحوالها، وبعد ذلك سألتها عن زليخة وكيف تقضي أيام صيفها فأخبرتني بأنها كانت تزورهم كل يومين وأنها بصحة جيدة، وهذا ما كان متوقعا مني، فسألتها عن تلك العملية المزعومة فأنكرت وأكدت أنها بحالة جيدة وأنها عادت من عندهم إلى بيتنا في الأمس. هذا بالفعل ما كنت أنتظره، تكذبين علي إذا. اتصلت على زليخة فورا وأخبرتها بأنني لا أستطيع أن أكمل حياتي مع شخص يكذب علي، بالطبع في البداية أنكرت لكنها لم تستطع أن تطيل في الإنكار بعد تلك الأدلة وبدأت بالبكاء وجداول الدموع لم تنتهِ، لكن كل ذلك لم يكن سببا في إقناعي، أصبحت أفكر كيف يمكنني أن أغلق الهاتف، وهي منهارة وتريدني أن أعطيها فرصة أخرى، لكن لا فرصة لدي للشخص الذي يكذب لينجو بفعلته، فقد كذبتي مرة والمرة تتلو المرة حتى يصبح الكذب عنوان لهويتك. احتفل عقلي عندما تركتها، قلبي نبض فرحا، وأخرج الدم المملوء بالخوف واستبدله بالدم السعيد الذي ينقل الفرح والراحة إلى القلب، الخطوة القادمة هي جوان.

*****

الفصل العاشر

(اشتقت لكم)

"في حزنك قبل فرحك، التفت إلى اليمين واليسار واحفظ الوجوه التي بقيت بجانبك."

في يوم الخامس عشر من شهر تموز، كان يوما مميزا جدا بالنسبة لي، فهذا اليوم هو اليوم الذي سأصارح جوان بحبي لها، وليس هذا فحسب، بل هذا اليوم هو يوم ميلادها أيضا، سأحاول أن أجعله مميزا وتذكارا جميلا للمستقبل، لذا دعوت أصدقائها المقربين مع العلم أنها ليس لديها عدة أصدقاء وهذا شيء مشترك بيننا فكلانا لا يحبه المجتمع الذي يحيطه لأسباب قد ذكرتها من قبل. دعوت أيضا عمر وبعض المقربين وبالفعل لم أدع عزيز، الذي أخبرتني جوان خلال الأيام أنه حاول التقرب منها وأنها رفضت ذلك، ولم تكن تعلم أن هذا هو مبتغاه، فقد اعتقدت أنه شخص لطيف يحب المساعدة والمشاركة، وعندما سألتها لماذا لم تخبريني بهذا الشيء؟ قالت بأنها تظن لو أخبرتني كنت سأواجه الموضوع بطريقة قاسية ولم تكن تريد أن تسلب سعادتي وتفكيري بمثل ذلك الموضوع. لم أستطع أن أقرر ما إذا كان هذا شيء جيد أم لا، فبمجرد أن رفضته فهذا أمر قد يخيفني، لكن بالتأكيد هي تعلم كم أنا أحبها وكل هذه الأمور المشتركة التي بيننا قد تزيد من فرصة قبولها. اجتمعنا في بيتي وأتى الجمع والحضور ليشهدوا على تلك الليلة السعيدة، وعندما حان الوقت المناسب جئت إليها قبل أن نغني ونحتفل وسألتها أمام الجميع.

يوسف: جوان، لقد كنت أنتظر هذه اللحظة منذ زمن بعيد، لم أكن أعلم أن واقعي كان ينقصه شخص آخر ليكتمل، الآن وأمام الجميع أخبرك بأنني أحبك وأريد أن أكمل حياتي معك فهل توافقين؟

جوان:....

لم تجب! بالطبع فهذا غير متوقع، وأمام الجميع بالتأكيد سيأخذها التوتر والتفكير.

يوسف:هل توافقين أن نكمل علاقتنا سويا يا جوان؟

هزت رأسها بالرفض، وبكسوف شديد. هنا احتلني الصمت، وقذفني صاروخ التوتر والصدمة، احمر وجهي، وارتجفت يدي، أما عيناي فهذا هو الوقت المناسب الذي احتفظت بدموعي من أجله. نظرت إلى عمر وهو ينظر إلي نظرة الحزين البائس، أنظر إلى غيره أجده يضحك، والآخر يهمس، والآخر يبكي، وأنظر إلى جوان تنظر إلي وكأنها طعنتني وتقول لي أنا آسفة. لم أصدق ما سمعته، حاولت جوان أن تهدئني فقالت لي (أنا أتأسف منك) لكنني خرجت من البيت سريعا، وعمر تبعني إلى الخارج.

عمر: يوسف انتظر لحظة، أريد أن أتحدث معك، من فضلك قف للحظة.

توقفت.

عمر: أعلم بأنك في أسوأ حالاتك، وأعلم بأنك لم تتوقع ذلك، لكنها ليست نهاية العالم يا صديقي.

يوسف: لكنها نهاية واقعي المزيف.

عمر: لا لا تقل ذلك، إنها بداية واقعك الحقيقي، لقد أخبرتك من قبل أنها من الممكن أن ترفضك، وهذا لا يعني أنها لا تحبك، بل من هنا يجب أن تزداد علاقتكما كأصدقاء،

الصداقة لا تقتل الحب، بل الصداقة تعني الحب،ربما ليس الآن، ربما في وقت آخر، أنت الآن تجده الوقت المناسب لكنها لا تجده مناسبا لها، وأنا معك يا صديقي في كل وقت.

هنا سمعت همسات غير مفهومة، من صوت كان يلازمني طوال حياتي، سمعتها تقول (لقد مات يوسف) وأعادتها مرارا وتكرارا، ومع كل مرة تعلو نبرتها، لا لم أمت يا أمي، اتركيني وشأني، ماذا تريدين مني، هذه حياتي وليست حياتك، لا أريد أحدا في واقعي، اخرجوا منه، ما زلت أصرخ بهذه الكلمات حتى .... لحظة!شعور غريب، إحساس قاس، حين تدرك أنك تشعر للمرة الأولى بالرؤية، اغمض عيناك لمدة خمس ثوان، ثم افتحهما، هذا ما أحسست به للمرة الأولى عندما وجدت أمي أمامي! تنظر إلي من الأعلى، أين هذا؟ أين أنا؟ ماذا يحدث لا أفهم؟! أين هذا المكان؟ صرخت أمي صرخات يصحبها البكاء، أمي ما بكِ؟! أتى الجميع مع أبي وإخوتي الستة! ماذا يحدث يا بشر؟! أين أنا؟! لم أنا في المستشفى؟! أتى الطبيب يبكي عندما رآني قائلا: حمدا لله على سلامتك يا بني، عافاك الله يا بني..هل كنت مريضا أم ماذا؟ هل كنت في عملية جراحية أم ماذا حدث؟ لم أستطع الكلام، فقط أنظر بعيني، وأستمع. أمي كانت تبكي كثيرا، لم أراها على هذا الحال من قبل، أمي التي لم تسأل عني أبدا أراها أكثرهم بكاء علي..الأب: الحمد لله الذي عافاه من تلك الغيبوبة التي صاحبته لمدة ثلاث أسابيع.

غيبوبة! أنا كنت في غيبوبة؟! كيف ومتى؟! وكم عمري الآن، أشعر أنني صغير في السن؟ أنا لا أفهم أي شيء. عدت إلى المنزل بعد مدة من الزمن وبعد استيقاظي من تلك الغيبوبة كما يقولون، عدنا أنا وأمي وأبي وإخوتي جميعا إلى نفس البيت، لا أعلم

كيف لكن هذا ما حدث، كنت أسأل أمي عن أصدقائي ولم أرَ أي من عمر وعزيز في المستشفى فلم تعرفهم. بالتأكيد فلم أخبرها عنهم من قبل. بحثت في هاتفي المحمول على أرقامهم فلم أجدهم، بحثت عن جوان أيضا فلم أجدها، بعد فترة عميقة في التفكير والكلام علمت أن كل ما كان يحدث في (واقعي) ما كان إلا أحداثا قد اختلقها عقلي، وأن لا وجود لأي شخصية من تلك الشخصيات، ولم يحدث أي حدث من تلك الأحداث، حتى أن لا أحد من عائلتي يعلم سبب تلك الغيبوبة كل ما يعلمه أبي أن المدرسة أخبرته بأنني ساقط على الأرض فذهب بي إلى المستشفى. هل هذا يعني أنني لن أرى جوان مرة أخرى؟ هل هذا يعني أنني لن أتكلم مع أي من تلك الشخصيات التي تعودت عليهم. لقد كان واقعي أشبه بالحقيقة، من الجميل حقا أن تتمنى العودة للطفولة وأن تعيد تلك اللحظات، وأحيانا تتمنى الرجوع لتصحح خطأ ما قد فعلته، لكن أن تعود في الزمن وبشكل حقيقي وأن تعيش اللحظات الماضية التي لم تعشها فهذا أمر صعب، صعب جدا. نعم سأشتاق لتلك الأيام، سأشتاق لأشخاص تعلمت منهم معنى الوفاء، وأشخاص تعلمت منهم معنى أن آخذ بحذري من البشر. لقد بدأت حياتي وحيدا حتى اجتمعت بتلك الشخصيات التي أضافت لحياتي نكهتها، وتعرفت على مواقف الحياة التي من الممكن أن أصادفها في حياتي وبشكل طبيعي، عدت وحيدا بدون أصدقاء، لكنني أعدكم بأنني سأرسم مسار حياتي مع أصدقاء جدد. إن واقعي لم يكن بالفعل واقعا خياليا، ولم أعش تفاصيل حياتي خارج نطاق الواقع، فكل حدث كان سيحدث من نقطة الانطلاق، الدليل... اقرأ الرواية من جديد!

الرواية الثانية

ليلة غير سعيدة

*****

الفصل الأول

(سوار)

"عندما يودعك أحدهم تريد بقائه، لا تودعه، ابق صامتا، فصمتك قد يكون سببا في عودته يوما ما"

(ليلة سعيدة) هما آخر كلمتين سمعتهما بأذني، أو بالأحرى آخر كلمتين نطقت بهما شفتاه اللتان تعودتا على إخراج الكلام النقي، الكلام الذي يحلو صوته في كل مرة أقابله فيها ، صوت يتدفق من القلب الذي يدق كلما نظرت في عينيه، سأخبركم في نهاية قصتي عن أي الأشخاص أتحدث فهذه الشخصية مهما وصفت حلاوتها لن أنتهي من مديحها إلى أن أموت، أعرفكم بنفسي أولا ،أُدعى سوار ، هل تعرفون ما هو السوار؟ من الواضح أنكم شاهدتموه في معصم الفتيات كثيرا، أو شاهدتموه في أيدي وأرجل السجناء حتى يقيدهم جيدا ويمنعهم من الهرب.

هذا لا يهم كثيرا، فلو كان اسمي يحمل المعنى الجميل وهو التزين والتطيب فهذا شيء جميل، وإن كان التقيد والالتزام فإني أراه بعيدا عني تماما، فإنني لم أتقيد بأي شيء في حياتي، وسأخبركم بالسبب في نهاية قصتي.

أعيش في منزلي الكبير بحديقته الخضراء الواسعة مع عائلتي الصغيرة جدا أعني بعائلتي أنا ووالديّ فقط.

لم ينجب أبي أبناء غيري لأنه بخيل كما تطلق عليه أمي في بعض الأحيان، وهذا شيء طبيعي بين الأغنياء .ففي كل مدينة من مدن اليابان التي نعيش فيها لابد من وجود عشرات الأغنياء على الأقل حتى تقوم المدينة على أقدامها وتلبي احتياجات شعبها من خلال اغنيائها، والذي لا يعرفه الناس أن هذا الغني بخيل على عائلته المسكينة التي تدعي أنا وأمي

لا يهم فأنا لا أجلس مع والديّ الوقت الكافي لأتحدث معهما في أمور كهذه، أبي يخبرني بأن الأموال لا تنقطع، فإن احتجت أي شيء سيكون عندي في ثوانٍ، لا، لا أقصد أنه سيجلبه لي على الفور، بل سأذهب وأحضره دون أن أناقشه فيه، ولكن من مصروفي اليومي، يظنّ الجميع أن حياتي سعيدة مثالية بمجرد أن أروي لهم قصتي، لكن المخفي عن أعينهم هو أن حياتي تشبه الدجاج الذي يطارده ابن الخمس يحاول الإمساك بالدجاج للّعب معه لكن بمجرد أن يمسك الطفل بالدجاج سيقوم بقطع رأسه لا محالة، تبدو هذه نكتة بالنسبة لكم لكن فعلا هذه هي الحقيقة يبدو للجميع أن حياتي عبارة عن لهو ولعب، لكن بمجرد أن يمسكوا بي ويدخلوا عالمي سيجدون حياة مخبأة عن أعينهم، لا أعني بذلك أن ما يجري من ورائهم هو أمر سيء، بل أقصد أن الناس بطبعهم يحكمون على فئة معينة بصفة أو طبع يلزمونهم بهما أو يكون هذا الطبع أو هذه الصفة غير مرضي عنهما ، وهذا بالفعل ما حدث معي أنا وعائلتي، فقد حكم علينا البعض بأن أبي وأمي مترابطان جدا مع بعضهما البعض وأنهما مثال يحتذى به في اختيار شريك الحياة وقد أدى بهم أن يقذفوا هذا الحكم بسبب أن أمي تمسك بيد أبي عند كل مقابلة أو اجتماع يوجدان فيه، وهذا ما جعل البعض يطلق عليهما هذا الحكم رغم أنهم

لو دخلوا عالمنا الحقيقي لوجدوا أنهما يقومان بهذه الحركات رياء أمام الناس وأنهما لا يكفان عن المشاجرات في منزلنا المغلق.

هذا التفكك الأسري اعتدت عليه ولم يعد يهمني كما كان من قبل بل أصبح من الضروري أن أسمع هذه المناوشات ولو لدقيقة واحدة كل ساعة من اليوم، ودائما بعد كل مناوشة يأتي أحد طرفيها إلي ويقوم بالتحدث معي ليرى ما إذا كان معه الحق أم مع الطرف الآخر.

نعم، هذا شيء جيد، يستشيرانني في بعض الأمور حتى ولو كانت بلا أهمية، لكن هذا هو الطبيعي، أن فتاه مثلي بعمر ال ٢١ لابد من استشارتها والأخذ برأيها وهذا ما جعلني مصرة على أن أخبركم ما حدث معي في اليوم التالي.

لدى أمي العديد من الأصدقاء، ولكل منهم طفل او طفلان لأن اليابان دول مكتظ سكانيّا ،وإحدى صديقات أمي لديها فتاة تدعى أمل، هذه الفتاة أحببتها منذ أن التقيت بها، لا أعلم لماذا، لكن ما حصل في أول لقاء كان السبب في حبي لها ،الأم خيرية:

مرحبا بك يا سارة وبابنتك الغاليه أمل

سارة: أهلا بك يا خيرية، أين هي ابنتك سوار لأعرفها على ابنتي

خيرية: إنها في الداخل، كانت في انتظاركم، سأناديها حالا

أتت أمي إلى غرفتي، في الحقيقة كنت مستعدة لأقابلهم لكنني كنت أتاكد من أن كل شيء على مايرام حتى خرجت مع أمي لأقابل العائل الكريمة

سوار: أهلا بك في منزلنا المتواضع يا خالتي سارة

سارة: لقد أصبحتِ تفوقين الخيال بجمالك يا حلوتي، أعرفك بابنتي أمل

أمل: تشرفت بمعرفتك يا سوار

سوار :وأنا تشرفت أيضا، تعالي لأريك غرفتي.

دخلنا الغرفة وبدأنا بالنقاش الذي لايمل منه فعلا لم يكن يحتوي على أي فواصل فهذه الفتاة _ما شاء الله_ لا تسكت أبدا.

بمجرد أن تنتهي من موضوع تفتح موضوعا أكثر حماسا من الذي قبله وتجبرك بأسلوبها على الاندماج معها، بكل صراحة، أحببت الجلوس معها غير أنني وجدت صفات بها قد تشبه صفاتي، وهذا قد يحدث لأول مرة فأنا رغم أنني في ريعان شبابي إلا أنني لست اجتماعية بما يكفي وليس لدي أي أصدقاء إلا زملاء الجامعة .

كانت أمل تخبرني عن الشخص الذي أحبّته، وأنه معها في التخصص نفسه في الجامعة وأن قصة حبهما تفوق كل قصص الحب. أحببت بها الجانب المشرق الإيجابي وأحببت أكثر أنها فتحت قلبها لي وأخبرتني عن حياتها التي قد تبدو خاصة لا علاقة لي بها وهذا ما جعلني أثق بها وأحترمها أكثر وأحاول أن أفتح قلبي لها أيضا كما كانت تفعل

ودعتها هي وأمها الراقية ووعدتني بأن تأتي غدا إلى منزلي لتقلني إلى منزلها ونحتسي كوبا من الشاي في الصباح الباكر فوافقت بلا تردد.

مع سطوع أشعة الشمس الحارقة التي أحبها أيقظتني أمي في تمام الساعة التاسعة صباحا بكل هدوء

خيرية :ابنتي حبيبتي، هيا انهضي، صديقتك أمل تنتظرك في الخارج

سوار :لِمَ لم توقظيني من قبل؟ أحتاج بعض الوقت لأرتدي ثيابي وأكون على استعداد، أخبريها بأن تدخل وتنتظرني في الداخل .

دخلت أمل إلى البيت وسألتها أمي إذا كانت تريد "فنجانا" من القهوة لتبدأ به صباحها، فأخبرتها أمل أنها قد جهزت إفطارا مثاليا في منزلها وشكرتها على اقتراحها وكرمها. انتهيت مما كان ينقصني ونزلت إلى أمل في الطابق السفلي وركبنا سيارتها بعد أن ودعت أمي

أمل: كيف هو نشاطك يا فتاة؟

سوار: نشاطي سيتأقلم على نشاطك فإن أي شيء افتتح به يومي يؤثر على باقي اليوم

أمل: أفهم من هذا أن يومك سيكون جيدا هذه المرة

سوار :آمل ذلك

وصلنا إلى بيتها الفخم، وجدتها قد جهزت الإفطار الشهي الذي يفتح شهية المكتوم وجلسنا على الطاولة. بدأنا نأكل بعد البسملة والدعاء

سوار: لم أكن أعلم أنكِ طباخة ماهرة

أمل: لابد أن تعلمي، فإني خبيرة في الطعام

سوار: إذن سآتي كل يوم حتى أجرب أكبر عدد من الأكلات، لكن أريد منك أن تخبريني هل وضعتِ الزيت بدلا من الخل أم ماذا؟

أمل: هممممم، ولم الزيت والخل؟

سوار: ألم تقولي بأنك حضّرتِ هذه الاكلة؟

أمل: في الحقيقة، أمي هي من حضرتها، وأنا لا أعرف كيف تمسك المقلاة

سوار : هاهاها، في المرة القادمة سآخذ حذري منك يا لعوب

الفصل الثاني

(إشارة صفراء)

"كثيرا ما قال لي الناس ستندم إن فعلت كذا، أو من الأفضل أن تتراجع، لكن قلبي دائما ما كان يقودني للأمام ويقول لي "استمر"، وها أنا اليوم أملك مفاتيح النجاح"

نقاش حميم وقلوب صافية، هكذا كانت جلستنا قبل أن أعود إلى منزلي، جلسنا لفترة تكاد تكون طويلة، أحسست أني أعرفها منذ الطفولة بالأمور المشتركة بيننا وبالطريق المسلية التي تتحدث بها، وبعقلها الذي يزن ذهبا أتمنى أن نبقى معا للأبد. بعد أن عدت إلى البيت سمعت هذا النقاش بين أمي وأبي.

الأم : ألم أقل لك أن تخفض من صوتك عند التحدث معي؟

الأب : ومن أنتِ حتى أخفض صوتي

الأم : أنا زوجك التي تدللها أمام الناس، أم أنك تنساني بمجرد دخولك هذا البيت اللعين؟

الأب :تكلمي باحترام حين تكلميني.

استمر هذا الصراخ حتى ملّ صدى الصوت من الارتداد وطلبت من أذنيّ أن تتحمل القليل، فبعد لحظات سيهدأ كلاهما كالعادة، وطلبت من عقلي أن يستعد، فإن أحد الطرفين سيأتي ويستشيرني بالأمر رغم أنني لم أكن موجودة حين بدأ الصراخ، حدث ماتوقعته.

الأب: بنيتي، قرة عيني، أعلم أنكِ تنزعجين من الشجارات التي تحدث في هذا المنزل، لكن يا حبيبتي نحن متفاهمان وأنا أحب أمكِ فلا تفكري في يوم أننا عندما نتشاجر هذا معناه أننا نكره بعضنا البعض.

سوار: أعلم يا أبي لكنني اعتدت على هذا، افعل مايحلو لك ولتفعل أمي ما يحلو لها لم أعد آبه بأي أحد منكما

الاب :لكن أنا أريد أن أوضح لك شيئا.. الحق معي، أخبرتها بأن..

سوار: أبي، لا أريد أن أسمع أي تبريرات، حتى على الأمور التافهة أصبحتما تختلقان مواضيع ومناوشات، اتركاني وحدي وافعلا ما تجدانه مريحا لحياتكم المملة.

وبعد هذه الكلمات دخلت غرفتي وأغلقت بابي، لا لم أغلقه بل طرقته حتى يعلم أصحاب العقول أن في هذا البيت شخصا آخر يعيش معهم في هذا "السيرك" المضحك.

أمسكت بهاتفي المحمول أبحث عن أي شيء أكسر به قيود الملل. وبينما أنا في غرفتي دخلت على أمي

الأم :من سمح لكِ بالحديث بهذا الأسلوب مع أبيكِ؟

سوار: عن أي أسلوب تتحدثين؟ عن الأسلوب الذي تعلمته منكما؟ أم الأسلوب الذي ربيتماني عليه ؟

الأم : انتقي ألفاظكِ

وضربتني على وجهي وكأنها رأت حشرة أمامها

الأم: في المرة القادمة لست أنا من سيضربكِ هل سمعتِ؟

سوار: شكرا على حسن تربيتك يا أمي

أتى أبي بعد أن سمع أمي تصرخ

الأب : ماذا بكِ يا خيرية؟ هل ضربتِها على وجهها؟

سوار: نعم ضربتني يا أبي، إنها تؤلمني

الأب: أحسنتِ صنعا، في المرة القادمة أنا من

سيضربكِ يا سوار، هل سمعتِ ما أقول؟

و خرج من الغرفة وكأن الأجساد خرجت منها الأرواح. مكاني ليس في هذا المكان، مكاني في عائلة تحترمني وتقدرني، مكاني في منزل أمل ووالدتها سارة، لا أريد أن أكون ابنة "المليونير" فلان، أريد أن أكون ابنة شخص يعدّني فعلا ابنته، أنا يائسة من هذا العالم الذي لا يقدم لي أي اعتبار، أنا لا أعلم ما يجب علي فعله أنا لا أعلم من المخطئ، أنا لا أعلم أي شيء، ما هذه الحياة؟ هل هنالك أي جماد يسمعني؟ هل هنالك ذرة لجماد تسمعني؟ أريد أن أهرب إلى عالم يحبني، لا يضع المتراس في طريقي وحريتي، مازلت أتكلم مع نفسي، أهمس هذه الهمسات وهذا الصراع الداخلي حتى طُرق الباب، عقلي يصرخ (من هناك؟)، لكن قلبي يرتجف ويقول: (لا أريد أحدا)، لكنني لم أكن أتوقع أن ذاك الشخص هو من كان وراء الباب.

في البداية، كنت أتوقع أن تأتي أمي لتستسمحني، أو يأتي أبي ليهدئني، لكن لم أكن أتوقع أن تكون أمل هي من وراء هذا الباب . أتت أمل واقتربت مني شيئا فشيئا لكن الأهم من هذا هو الشعور النفسي الذي لا يظهر على الشخص من الخارج والذي لو انكشف هذا الشعور النفسي الداخلي على أحد لتغيرت أشياء شتى، المهم أن الشعور الداخلي

الذي كان يصرخ من الداخل هدأ بمجرد وجود صديقتي أمل، وهذا شيء لم أجد له أي تفسير حتى الآن، جلست بجانبي وأخبرتني أن هذا شيء طبيعي يحدث في كل البيوت، ولكن أخبرتني بسر عظيم لا أعلم كيف اطّلعت عليه. فقد أخبرتني أن هنالك أمرا مهمّا جدا في حياتي سيحصل بمجرد خروجي من هذا البيت وأن مكاني ليس في هذا البيت المخيف، وإنما في بقعة أخرى غير مشابهة لأي بقاع الأرض نهائيا ولن يساعدني أحد في الذهاب إليها وأخبرتني أن هذا المكان سيأسرني بداخله للأبد. سألتها ما إذا كانت تعرف هذا المكان لتدلني عليه، لكنها رفضت رفضا قاطعا وقالت: (ليلة سعيدة)

ما هذه الجملة التي كلما نطقها أحد لا أرى وجهه ثانية! هل هي كلمة محرمة أم ماذا ؟! بينما أنا في تفكيري العجيب، سمعت أحدهم يغني، وبصراحة اندمجت معه ومع الموسيقى الهادئة التي تشبه رنات الهاتف المحمول المتطورة المبهجة، بدأت أرقص، ولكن فجأة أصابني الذعر حينما وجدت نفسي نائمة، أمل تحاول إيقاظي. لحظة صمت دامت لخمس ثوان. لحظة.. أين أنا؟

أمل: أنتِ في منزلي يا سوار، وابتسمت ابتسامة صغيرة

سوار :ماذا أتى بي إلى هنا؟ ألم أكن في منزلي؟ أو بالأحرى كنا في منزلي؟

أمل: لا، لقد نمتِ البارحة في منزلي من شدة التعب ولم تعودي إلى منزلكِ حتى الآن

سوار: أفهم من هذا أنني كنت أحلم!

أمل: تحلمين؟ وبماذا حلمتِ؟

سوار :حلم طويل متعب لا تفسير له

في بداية الأمر لم أصدق أن كل ما حدث كان حلما، لكن عندها ابتسمت وانشرح صدري لأنه لم يحدث أي مما شاهدته. لكن بعد لحظات بدأ عقلي بمخادعتي، ما تفسير ذلك الحلم؟ بالتأكيد لكل سبب مسبب، ولكل فعل سبب جعل الفاعل يقوم بهذا الفعل، فما هو سبب ذلك الحلم أو بكلمة مشابهة لماذا أتى ذلك الحلم في هذا الوقت؟وما هو المكان الذي أخبرتني عنه أمل؟

حسنا، لقد شاهدت أبي وأمي يتشاجران عدة مرات، ولم يأتِ ذلك الحلم إلا هذه المرة التي لم يتشاجرا فيها .إنه فعلا أمر عجيب. أنا متأكدة أن هذا الحلم لم يكن مجرد حلم، وإنما حقيقة على شكل حلم وأن الأحداث التي ظهرت فيه سيأتي يوم وأتذكرها على أرض الواقع. هل يجب علي أن أروي ما حدث لأمل؟

لأنني كما قلت من قبل إنها تفهمني وتراعي شعوري وإلا لما وجدتها بجانبي في هذا الحلم الغريب، تساندني حتى في الحلم، أم يجب أن أحتفظ بهذا الحلم في قلبي إلى أن يأتي اليوم ويتحقق أمامي؟

لا أعني الأحداث التي ستتحقق، وإنما أقصد المسببات هي التي ستتحقق أمامي لا محالة.

المشكلة ليست هنا، المشكلة هي أننا بطبعنا لا نستعد لأي حدث إلا بعد فوات الأوان، أقصد أننا لا نصدر أي فعل، أو لا نخطو خطوة إلا بعد أن تكون الفرصة قد أوشكت على الانتهاء.

نحن بطبعنا ننتظر الفعل حتى نقوم برد فعل في اللحظة نفسها، أو بعد فوات الأوان.

لا نستعد، لا نتوقع الأسوأ قبل أن يأتي ، وهذا ما جعلنا محدودين في تفكيرنا، لا نطمح لشمول التفكير والاستعداد لأي لحظة تخبرنا فيها الحياة بأن الإشارة حمراء، لا، لدينا الإشارة الخضراء كالصفراء، والاستعداد ضغطنا عليه زر (حذف) من حياتنا ، وطبعا، لهذا سأستعد لما هو قادم، ولن أخبر أحدا بما حلمت به في الأمس.

*****

الفصل الثالث

(بداية البداية)

"عليك بنصيحة من تحب، لا عليك الإلزام وإنما الرفق ، ولا تناقش ذلك الشخص الذي إذا نصحته انفجر في وجهك كالنار الملتهبة، فالناس أعداء ما جهلوا".

تلك الليلة السعيدة التي قضيتها مع أمل كانت ذكرى لا تنسى، رجعت في الصباح بعد أن أيقظتني أمل علي رنات هاتفها التي كانت كموسيقى تصويرية لحلمي العجيب وعدت إلى البيت لكنني لم أجد أحدا، كنت جائعة وأبحث عن الطعام، أين أمي؟

ولِمَ لم تحضر الطعام !

حسنا، سآكل عند المطعم المقابل لمنزلي، نزلت من الدرج الطويل الذي لا ينتهي، وخرجت من باب المنزل العريض قاصدة المطعم.

بمجرد خروجي من باب المنزل وجدت مشهدا مخيفا، امرأة سبعينية تعبر الطريق، وذاك لص يختطف حقيبتها ويهرب، وهي تصرخ وتطلب النجدة. حسنا، لم أكن أنا النجدة، فأنا من من بحاجة إلى النجدة لتساعدني في البحث عن شعوري وإحساسي في تلك اللحظة، بينما هي تصرخ تصدمها "سيارة" صدمة جعلتها تنزف حياتها وروحها في تلك اللحظة، ولم يقف حتى صاحب السيارة بعد أن صدمها!

لحظة.. لحظة.. هذا حلم بالتأكيد، هيا قومي يا سوار من حلمك قبل أن تُقتلي بأرضك، ما هذا الذي أراه!

من المسؤول عن هذا كله!؟

ماذا فعلت هذه العجوز حتى تموت بهذه الطريقة!؟

حتى قتلوها بطريقة وحشية!

اسرقوا منها حقيبتها، لكن لم سرقتم حياتها بهذه الطريقة، أنا لا أفهم !

هل يعقل هذا !

بدأت أخاف على نفسي كثيرا، الجوع نسيني، لكنني نسيته منذ أن شاهدت جائعي القتل وجائعي المال، لكل بداية نهاية، ونهايتهم على يديّ، في الحقيقة لا أقصد يديّ، فأنا لاحول لي ولاقوة، أقصد أنهم سيواجهون نتيجة أعمالهم قريبا.

دخلت البيت مرة أخرى واتصلت بأمل التي تبعد عنا "الكيلومترات" القليلة .

سوار: أين أنت يا أمل؟

أمل: أنا في الشارع مع باقي الناس، هل شاهدتِ ما حدث؟

سوار: نعم شاهدته وأنا خائفة جدا

أمل: لا تخافي، كل شيء سيكون على مايرام.

هل أكلتِ؟

سوار : لقد أكلت كل الخوف والرعب يا صديقتي.

بضحكات خفيفة قالت: لقد انتهت حياتها هنا، وسيعاقب الفاعل بالتأكيد يا سوار.

سوار: آمل ذلك، العالم بدأ يأخذ مسارا جديدا ،مسارا مخيفا لا أعلم ماذا يطلق عليه، لكن عمليات السرقة والقتل أصبحت روتينا عند البعض، وأصبح أمرا طبيعيا أن يُسرق أحدهم بين الحين والآخر.

أمل: أعلم ذلك،ليكن الله حافظنا، سأحضر بعض الطعام وآتي إلى منزلكِ لنأكل معا.

بعد ما يقرب من نصف الساعة أتت أمل إلى بيتي حاملة الطعام الشهي الذي بمجرد أن رأيته أسرعت بأخذه، أكلنا الطعام بعد البسملة والدعاء وحمدنا الله على نعمة الطعام، وبعدها استأذنت أمل مني بالخروج لأن الوقت قد تأخر عليها وخرجت من الباب بابتسامة وهي تقول: (ليلة سعيدة).

عجزت عن الرد لما في هذه الجملة من معان في قلبي، حيث أنها تدق في قلبي دقا حين أسمعها .وبعدها خرجت من المنزل.

كل هذا حدث، ومع هذا لم يأتِ أي من والديّ إلى المنزل!

شيء غريب

عادة، تأتي أمي قبل أبي لتحضر الطعام، وبعدها بساعات قليلة يكون أبي في المنزل، لكن في هذا اليوم لم يأت أي منهما.

وفي الحقيقة سأخبركم بأمر قد يبدو سخيفا، لكنني بدأت أقلق عليهما بعدما حدث ما حدث في الصباح

لم أنم ولكن عينيّ عجزتا عن الصمود، فلم يكن يشغلهما أي شاغل عن النوم، لكن عقلي مازال يفكر أين سينام أبي وأمي في هذا الوقت المتاخر من الليل؟ الساعة التاسعة،

ليست بذاك التأخير، لكن الظلام غطى على جميع مناطق وبيوت اليابان، وفي الحقيقة أنا لا أحب ظلام الليل المخيف.

بينما أنا أفكر، سمعت باب المنزل يغلق ولكن بقوة.

أنا في الطابق الثالث، وباب المنزل في الطابق السفلي

من هناك ؟

وأصوات تهمس مع بعضها البعض، أسمع أصواتا، تذهب وتعود، من مِن الممكن أن يكون هذا الشخص؟!

لكنني أسمع أصوات مجموعة من الأشخاص، وليس شخصا واحدا.

هل النافذة قريبة من هنا؟

وكم تبعد عن أرض الحديقة؟

قدماي لم تحملانني للنهوض، لكن الأصوات بدأت تعلو شيئا فشيئا، بدأت أشعر باقتراب الأصوات مني .

هل تعرفون صدى الصوت الذي يرسل الأصوات مكبرة عند صعود الدرج؟

هذا ما كنت أسمعه، لكنني كنت أسمع أضغاث أصوات، همسات متداخلة مع بعضها البعض، وصدى الصوت يعكسها، لم أعد أميز الأصوات عن بعضها، وأنا على سريري مختبئة تحت اللحاف.

(اقترب) ..... هذا كل ما كان يشغل عقلي، عيني التي كانت تحاول النوم، تكاد الآن تغلق جفنها، إلى أن شاهدت خيال أقدامهم يصل عند باب غرفتي، كل ما فعلته أنني تظاهرت بالنوم وأغلقت عينيّ وفتحت أذنيّ وعقلي.

دخل الغرفة، أنا الآن مغلقة عينيّ لا أرى أي شيء، بدأت أصوات أقدامهم تزعج أذني، هل اقترب مني؟

بدأت ضربات قلبي بالتسارع، وأوردة جسدي ترسل القلق إلى قلبي، إنه يتجول حول غرفتي، ماذا يريد؟

لِمَ لمْ يقتلني؟ أو يسرقني حتى!

اقترب مني، أحسست به بجانبي، لم تمضِ لحظات حتى همس في أذن صاحبه وأغلق الباب، هل علي أن أفتح عينيّ؟ أم أنهم ما زالوا هنا؟

فتحت طرف عيني فلم أجد أحدا عند الباب ولا في الغرفة!

أنا لا أحلم، فأنا أشعر بكل لحظة الآن، أقدامي التي باعتني منذ قليل ساعدتني على النهوض، اقتربت من الباب، فسمعت أصواتا مألوفة، إنها أصوات أمي وأبي على الأغلب!

قتلني الفضول لأعرف ما الذي يحدث، فتحت الباب بخفة، فوجدت أبي يهمس،.

الأب: لا تخبئيها هنا، ابحثي عن مكان آمن

الأم: وأين برأيك هذا المكان؟

عن ماذا يتحدثان؟

ما هذا الشيء الذي يخبئانه؟

نزل كلا الوالدين إلى المطبخ، وما كان مني إلا أن لحقت بهما خطوة بخطوة رأيتهما وهما يخبئان شيئا ما تحت الثلاجة، وبعدها غادرا المطبخ متجهين إلى الغرفة، وبالطبع، من منا لم يخذله عقله قبل قلبه؟!

لكن عقلي خذلني مرارا وتكرارا، أحاول النهوض من أرض الواقع فلا تسعفني قدماي، وأحاول أن أنام فلا تغلَق عيناي، أما قلبي، فبالهوى يرتاح لا يشغله شغل الشاغلين، ولا يهتم لأمر الساهرين، فضولي كاد أن يطعنني في عقلي، لا أعلم ما الشيء الذي أتى بوالديّ إلى المنزل في هذا الوقت المتأخر من الليل، وجاء بهما إلى غرفتي ليتأكدا مني، ومن ثم همسا وذهبا إلى المطبخ ليبحثا عن مكان آمن، ما هذا الشيء؟!

وبالطبع دخلت المطبخ بعد أن تأكدت بأنهما دخلا غرفتهما، ومددت يدي تحت الثلاجة فوجدتني أمسك بشيء جامد، أخرجته من تحت الثلاجة وكانت مفاجأة غير متوقعة، لم أكن أتوقع أن هذا الشيء من الممكن أن يلامس يديّ في يوم من الأيام البشعة جدا، يا ليتني لم أسمع كلام عقلي المخادع الذي ظل يلاحقني كطفلة فضولية لا عقل لها، أجبرني على الإمساك بهذا الشيء القذر، الآن ستتغير حياتي ، ستتغير نظرتي للعالم من حولي، يا ليتني كنت حمقاء ولم أعلم ما الذي يحدث من حولي، وفور أن أخرجت يدي من تحت الثلاجة وأمسكت بهذا الشيء الجامد، وجدت أبي وأمي قد وضعا كيسا كبيرا من المخدرات والمنشطات القاتلة والتي تهوي بالعالم إلى الخراب المهترئ، هل يعقل هذا ؟!

أبي وأمي يشتركان في أمور قد تدخلنا السجن؟ أو حتى قد تهوي بنا إلى الهاوية؟!

لا أستطيع البقاء في هذا المنزل وإلا سينتهي بي المطاف بين أيدي العصابات التي يتعامل معها والداي، في الصباح الباكر سأجهز حقيبتي وأهرب على الفور وسأخبر أمل بكل ما حدث، وإذا لم تصدقني سأتركها وشأنها وأذهب لأبني حياة جديدة في عالم جديد، بعيدا عن أعين هذا العالم المخيف

الفصل الرابع

(أسرار مخفية)

"لا تحكم على شخص لا تعرفه بسبب من حوله، فكما في البستان الجميل أفاعي، كذلك في غابة الذئاب غزلان".

في الصباح الباكر مع تغريد الطيور الذي لا علاقة له بنفسية اليوم، لا تغريد الطيور ولا أشعة الشمس تغير نفسيتي، نزلت من غرفتي فوجدت أبي يقرأ الجريدة وأمي تحضر له الطعام والقهوة التي ستنشطه في يومه، لمَ لم يأخذ جرعة صغيرة من منشطاته؟

بدلا من هذه القهوة التي يتظاهر بها أمامنا أنه ملاك طاهر لا يعرف الهرج والمرج، يا لهذه الحياة ولهذا الواقع المزيف، يا لهذه النفوس الخداعة، بدأت أشعر أنني لست ابنتهما، بدأت أشعر أن عالمي هو عالم الأموات، أو حتى عالم النفوس الضائعة التي لا حياة لها سوى الضياع والهوان المسيطر على أجسادها، كفانا تصنعا يا أيها الواقع، كفانا كذبا أيها العالم المتوحش، كل النفوس تضمر حقيقة ثانية لا يعلمها حتى أصحابها، بدأت أنظر إلى أبي بنظرات دون وعي، صادمة أنظر إليه، وهو ينظر إلي، لم أكن على وعيي حين نظرت إليه، كنت أفكر وبشدة وهو ينادي علي مرارا وتكرارا، لكنني لم أسمعه، حتى أمي لم تفهم ما الذي يحدث حتى أتت وهزت جسدي قائلة: هل أنتِ بخير يا حبيبتي؟

حبيبتك!

نعم أنا حبيبتك لكن لست ابنتك، أنتِ قلتها بنفسك قد أكون حبيبتك، وبعد فترة تكرهينني، هذا شيء طبيعي أما ابنتك، فالأبناء لا ينكرون آبائهم، ماذا عنك؟ هل نكرتِني أم بعد؟

هذا الكلام كله كان يخاطبني به عقلي، لم أسمع أي شيء مما قاله لي والداي سوى همسات.

سوار: كيف حالكما اليوم؟

الأب: نحن بخير، لكننا قلقنا عليكِ، هل كل شيء على مايرام؟

سوار: سيكون على مايرام.

الأم: هل ترغبين ببعض الحلوى مع القهوة الساخنة أم ماذا ؟

سوار: لا أرغب في أي شيء، سأذهب إلى الجامعة، فلدي أمور أهم

ذهبت إلى بيت أمل وطرقت عليها الباب حتى فتحت لي

أمل : سوار! كيف حالك يا صديقتي؟

لم أتمالك نفسي حين رأيتها ووقعت على الأرض باكية بكاء شديدا

أمل: ما بك يا سوار أخبريني

سوار: أمل أنا أحتاج إلى الحديث معك الآن، أنا خائفة

أمل: هيا، لنتحدث في الداخل

دخلنا إلى منزل أمل، المنزل الفاخر بمسبحه النقي الصافي، وجلسنا على طرف المسبح، وبعد أن هدأتني وأحضرت لي القهوة الساخنة

أمل: تفضلي، القهوة يا سوار، هيا أخبريني، ما بك؟

سوار: تريدين الحقيقة؟

لا أعلم ما الذي يحدث من حولي، لا أعلم ..... كل ما أعلمه أنني لا أعلم ..... ما هذه الفوضى التي تحدث في العالم !

أشعر أنني لست على قيد الحياة أنا أعلم أن الحياة جميلة ، وأن من في العالم هم من أعطوها جمالها، فلم هذا كله؟

أمل: اشربي قهوتكِ أولا ثم أخبريني ما حدث معكِ بالتفصيل

شربت قهوتي، وأخبرتها بما حدث في تلك الليلة، تعجّبَت بالتأكيد من الذي سمعته، لكن الأعجب أنها صدقتني، وأخبرتني أسرارا عنها لم أكن أتوقعها أبدا

أمل: في الواقع يا سوار، والداك هما سر حياتك، الحياة لا تدعى حياة دون الأهل، وخصوصا دون الوالدين،مهما فعلا سيتعلمان من الحياة والصعوبات التي سيواجهانها، لكن لست أنتِ من سيعلمهما، كل ما عليكِ فعله هو دعاؤك لهما في صلاتكِ وأن تطيعيهما في كل ما طلباه، لأن العائلة هي الشيء المشترك بين الحب والأمان، الأم والأب كلمتان لا يستهان بهما، ابحثي عن قلبك داخلهما، ستجدينه بالفعل، ثقي بنفسك ستجدين حياتك مع عائلتك، أكثر من أي أحد

لم أسمع هذا الكلام من قبل، حتى من عائلتي التي مدحتها أمل منذ قليل، لا أعلم إن كنت بالفعل سأجد قلبي أم أن قلبي باعني مثل حياتي؟

هذا كله لا يهم، لكن المهم ما فاجأتني به أمل أثناء الحديث، والذي لم أكن أتوقعه نهائيا .

أثناء الحديث مع أمل أشارت إلى بعض الأمور التي كانت مخفية عن أعين الناس، لكنها أخبرتني عنها ووثقت بي، وأخبرتني بأن يبقي هذا الموضوع سرا بيننا

أمل: في الحقيقة أنا لا أخبرك عن أهميه الأسرة من لاشيء، وإنما أخبرك من واقع حياتي كوني شخصا ناصحا لكِ فأنا في الحقيقة.....

سوار :في الحقيقة ماذا؟

أمل: أنا في الحقيقة ليس لدي أسرة.

سوار:هاهاها، ماذا تقولين؟.

أمل : هذه الحقيقة، فلقد تبناني والدي الذي هو في الحقيقة لم يكن والدي حينها، وهذه الأم، هي ليست أمي، أنا إلى الآن لا أعرف أين هي أمي أو أين هو أبي الحقيقي

سوار: هل أنتِ جادة؟

ولم تبناك إذن؟

أمل: أنتِ تعلمين بالطبع أن اليابان دولة كبيرة، وأن هذه المنطقة التي نعيش فيها هي ملك للأغنياء، وكان والدي كما ترين من كبار المدينة وأغنيائها، ومن قوانين هذه الدولة أنه من لم ينجب أطفالا _كما حدث مع أبي وأمي_ أن يتبنى طفلا حتى يرثهما وهذا ما حدث بالفعل، أسماني على اسمه وأصبحَت كل قوانين وأحكام المواريث تطبق عليّ، وها أنا ذا في بيتي، أملك أموال أبي المتوفى، أعيش مع أمي التي تدعى سارة، وهذا كل مافي الأمر.

سوار: شيء عجيب، هذا يعني أن خالتي سارة هي ليست أمك!

أمل: ماذا بك يا سوار؟ هاها، لقد أخبرتكِ بأنها ليست أمي الحقيقية، نعم.

سوار: أنا متعجبة جدا من الذي قلتِه، لكن لدي سؤال، هل يعلم حبيبك بهذا الشيء؟ أعني، هل أخبرتِه بهذا كله قبل أن يخطِبكِ من أهلك، الذين هم ليسوا أهلك ؟

أمل :ماذا تقولين؟ هم أهلي الآن، وأنا أعدّ نفسي ابنتهم، كل ما في الأمر أنهم تبنوني، ولنعد لموضوعنا الأساسي، لا لم أخبره بأي شيء، لكنني سأخبره عند أقرب فرصة.

سوار: لابد أن تخبريه بأقرب وقت، حتى لا يظنّ أنكِ تكذبين عليه طوال هذه الفترة

أمل: لا تقلقي سأخبره، أنا أعلم جيدا ما أفعله، فلا تشغلي بالك بأموري، اشغلي بالك الآن بما هو أهم، ماذا ستفعلين الآن ؟

سوار: سأذهب إلى الجامعة، فالأسبوع المقبل هو آخر أسبوع

أمل: حقا ؟!

هذا جيد، ومتى حفل التخرج من الجامعة؟

سوار: أظن أنه في بداية الشهر القادم، وعليكِ أن تأتي

أمل :بالتأكيد سآتي، لا تقلقي

سوار:هيا، أراكِ لاحقا، عليّ أن أذهب

أمل: إلى اللقاء يا سوار

ودعتها بابتسامة صافية من القلب، وذهبت إلى الجامعة بنشاط، فكما أخبرتكم، أي شيء يعدل مزاجي في الصباح، يبقى معي إلى آخر اليوم، لكن ربما كان هذا اليوم استثناء عن باقي الأيام، فلم يكمل النشاط والسعادة لآخر اليوم، فكالعادة، عندما عدت إلى البيت، العديد من الشجارات والمناوشات على الأمور التافهة، لكن هذه المرة كانت مختلفة، فبعد قليل سيأتي ضيوف في غاية الأهمية ليقابلوا والديّ، لكن الأمر بدا

صعبا لأن الضيوف أصروا على الحضور ولم يكن أي من أبي أو أمي مستعدا لمقابلتهم، لكنهما رحبا بهم على الفور، وهذا ما بدأ الشجار.

الأب: هيا، علينا أن نستعد في أسرع وقت ممكن

الأم: وماذا تراني أفعل، تكلم عن نفسك أولا

الأب: أنا جاهز، اذهبي وبدلي ملابسك، فإنها لا تعجبني

الأم: لا يهمني إذا لا تعجبك، فأنا لم أرتدِها من أجلك

هذه هي الحال في كل زمان، لا يستخدم أي منهما أسلوب (التطنيش) الذي يريح البال ويقتل الجدال، هذه المقابلة المهمة هي أهم الأسباب التي غيرت حياتي ١٨٠ درجة وجعلت مني شخصا مختلفا وأظن أنها سبب من أسباب وجودي في بيت أحلم فيه بمثل هذه الأحلام.

*****

الفصل الخامس

(رحلة! إلى أين؟)

"باستعدادك ستجد كل شيء سهل وبسيط، وسيصبح الاستعداد عادة تمكنك من تخطي الصعوبات"

في تمام الساعة السادسة والنصف، طرق السيد عادل وزوجه وابنته الباب وكنا على استعداد أنا ووالداي .دخل السيد عادل وعائلته إلى داخل البيت بسعادة وترحيب من عائلتي وجلسوا على الأريكة في صالة الضيوف، دخلوا في مواضيع شتى وأمور الشغل والشركة التي يعمل عندها كل من والدي والسيد عادل، وبعدها تناولنا العشاء مع بعضنا، وكل شيء كان على مايرام، إلى أن حدث ما حدث.

السيد عادل: أخبرني أحد العاملين أنك أخذت مبلغا مقدرا بـ٣٠٠ "مليون دولارا" من الشركة، هل هذا صحيح؟

الأب :من الأبله الذي اتهمني بمثل هذا الاتهام؟

السيد عادل: هذا يعني أنك لم تأخذ أي شيء؟

الأب: لا لم آخذ، وإذا أردت أن ألمس خزنة الشركة، كنت سأناقشك فيها، وهذا المبلغ كبير أيضا لا يستهان به.

السيد عادل: هل لي أن أكلمك على انفراد يا سيد ماهر؟

الأب(ماهر): سيد عادل، لا أحد يتهمني في منزلي، وأمام عائلتي.

السيد عادل: تعال معي يا سيد ماهر

ذهب أبي مع السيد عادل إلى زاوية في البيت، وبدأ كل منهما يلقي اللوم على الآخر، بالنسبة إلي، لم أعرف ما الذي كان يحدث، لكن خطر على بالي ذلك اليوم الذي خبأ فيه كل من أبي وأمي المخدرات تحت الثلاجة، وكانت بكميات هائلة، فقلت، ربما السيد عادل على حق، وقد يكون والدي قد سرق هذا المبلغ ليشتروا به كميات كبيرة من المخدرات، شيء محير، بدأ السيد عادل يفقد صوابه، وزوجه تحاول تهدئته، لكن لا فائدة، أبي أيضا قلده بتفكيره وبدأ يفقد صوابه، حتى أصبح البيت شجارا عارما، لا أريد أن أخبركم إلى أين وصل الشجار، لأنه ليس من المشرّف ذكره، لكن أبي طرد السيد عادل من بيته هو وزوجه وابنته، خرج السيد عادل من البيت وفي وجهه مائة تعبير، من تعابير الدهشة إلى تعابير الغضب إلى تعابير الانتقام، وعلى أبي علامات مخالفة لتلك، فعليه علامات التوتر والقلق، وبعض علامات الندم.

ما حدث بعدها كان متوقعا، فلقد فقد كل من أبي وأمي عقليهما، وبدأ أبي بالصراخ وأمي تتبعه بأسلوبه نفسه، وأظن أنكم عرفتم كيفية النقاش الذي يدور، لكن هذه المرة كانت مختلفة تماما.

الأب: هو من بدأ التطاول عليّ

الأم: أنت تعلم تماما من المخطئ

ثم نظر إلي أبي وهمس في أذن أمي شيئا لم أسمعه حتى التفتت أمي هي أيضا إليّ ودخلا غرفتهما، وهناك أكملا نقاشهما، وما كان مني غير أن لحقتهما إلى الغرفة لأسمع، أو بكلمة أخرى (أتجسس).

الأم: أنت المخطئ يا ماهر، منذ البداية نصحتك بألا نفعل ذلك

الأب :خيرية، أنتِ تعلمين جيدا أنكِ أصررتِ على شراء هذه المخدرات، وأنتِ أيضا تعلمين أنني لم أجد أي نقود تكفي لشراء المخدرات

سمعت ذلك بأذني، السيد عادل لم يكن مخطئا، والداي هما السارقان، كل هذا من أجل المخدرات التي توهم البشر بأنها هي الملجأ لكل هارب من المشاكل النفسية، وأنها هي الحل لكل الأمور والمعرقلات التي تواجه البشر، هذا بالفعل ما يحدث هنا، المهم أن كلّا من أبي وأمي يضع اللوم على الآخر، ولا أحد منهما يدرك أهمية الموضوع، ولا أحد منهما يفكر في المستقبل القريب، إن هذه الحياة علمتني الكثير، علمتني بأن آمالي وحياتي لا يصنعها غير الياء في آخر كل كلمة أنسبها إلي ..... أنا من أصنع حياتي، ولا تقف نجاحاتي ولا خططي على أحد من حولي، هي حياتي، هي لي أنا، لكل منا حياته.... حياة واحدة سيتحدث الناس عنها في مثل هذه العائلة الجميلة، بعدما يفضح أمرها سينظر الناس إليها نظرة استحقار واستهزاء، وينظرون إلى ابنتها التي تدعى سوار نظرات حقارة، دعوني أتخرج في جامعتي ثم افعلوا ما يحلو لكم، الذي حدث في تلك الغرفة كان متوقعا، وكنت أنتظره يحدث حتى أكمل بقيه حياتي كما توقعت وخططت لها، أكملا صراخهما في تلك الغرفة وأنا جالسة في الصالة أنتظر الحدث الأهم في مسيرتي .... وها قد أتى

أنا جالسة على الأريكة في صالة الضيوف، وأتى أبي بعد أن تشاجر مع أمي، لم أكن أعلم بماذا انتهى النقاش، أو بالأحرى هذا الجدال العقيم، لكن عندما أتى أبي قال: هيا يا سوار، جهزي أغراضكِ واتبعيني إلى السيارة

سوار: إلى أين يا أبي؟!

الأب: سنغادر المنزل

سوار: وأمي ؟

الأب: قلت لكِ تجهزي ولا تناقشيني

ذهبت دون أي كلام، دون أن أعرف السبب إلى غرفتي لأجهز أغراضي، وسمعت بكاء وعويل أحدهم، إنها أمي

لماذا تبكي هكذا؟!

انتابني شعور الحزن عليها والأسى على حالها، لكن أكملت بتجهيز أغراضي ونزلت إلى أبي، وأنا أنزل الدرج، ازداد بكاء أمي، لم يهمني كثيرا الأمر، لكن رق قلبي وارتجف بدني عليها حينما وجدتها أمامي وهي تبكي، لم أرها من قبل على هذه الحال، لم تصبني في مرة، رجفة كهذه، القشعريرة التي على جلدي، وجهها الشاحب وعيناها المملوءتان بالدموع كانتا سببا في انهياري بالبكاء، ودون أي سبب، احتضنتها، ولا أعلم لم، احتضنتها وكأنه حضن الوداع، (أمي، لم تبكين؟) كانت داخل رأسي تسبح، ولكن شفتيّ لم تنطقا بها، نظرت إلى الخارج، فوجدت أبي ينتظرني، وأنا مازلت أحتضن أمي التي تبكي، وأنا أبكي معها، بعدها أخبرت أمي شيئا ربما لم أخبرها إياه من قبل.

سوار: أمي .... أنا أحبك

لا أعلم لم قلت هذه الكلمات، لكن قلبي من أخبرها.

الأم: سوار، أحبك أكثر منك، سأبقى على تواصل معكِ، لكنني لا أتحمل بعدكِ عنّي.

سوار: تعالي معنا يا أمي، هل ستبقين وحدك هنا؟!

الأم: لا أستطيع أن آتي .... هذه فترة مؤقتة .... سيخبركِ أبوكِ بالتفاصيل لاحقا ،هيا اذهبي، وأتمنى لكِ ليلة سعيدة.

حتى أنتِ يا أمي!

لم أجبها بأي شيء، مشيت قدما نحو السيارة وركبتها، وغادرنا هذه المدينة المزعجة أنا وأبي، لكنني نسيت شيئا مهما، لم أودع صديقتي أمل!

يا إلهي

حسنا، سأكلمها حينما أصل إلى المكان الذي لا أعلم أين هو، في بداية الأمر توقعت أن والديّ قد انفصلا، أعلم أنه سبب تافه للانفصال، لكن ما الذي يجبر أبي على ترك البيت وترك أمي وحدها في البيت الكبير دون أي شريك، المهم في الأمر أنني طرحت على أبي الأسئلة نفسها، لأنني لم أجد أي جواب.

سوار: أبي، إلى أين الطريق؟

الأب: سنذهب إلى بيت صديقي المقرب لبضعة أيام

سوار: ولم هذا كله؟

الأب: سوار، يجب علينا أن نبتعد عن أعين السيد عادل هذه الفترة، فكما شاهدتِ، إنه رجل مجنون، وكل ردود الأفعال التي من الممكن أن يقوم بها غير متوقعة

سوار: ولماذا تركنا أمي في البيت وحدها إذن؟

الأب: حتى نوهم السيد عادل وأتباعه أن أحدنا في البيت

سوار: وماذا إن أصابوها بمكروه؟

الأب: هذه مشكلتها هي، هي مسؤولة عن كل تصرفاتها، لم تعد طفلة

هل يعقل ما قاله هذا الزوج

ألست أنت زوجها يا رجل!

يا لعقول الناس..

المهم أننا وصلنا إلى بيت صديق والدي الذي يدعى (حسام) ورحب بنا كل الترحيب، الغريب في الأمر أنه كان يسكن وحده في البيت دون زوج ولا أولاد، لا يهمني، الأهم من ذلك أنني أريد النوم بشدة بعد هذا اليوم المتعب، أردت الاتصال

بأمل، لكن أبي أخبرني بألّا أكلم أحدا هذه الفترة لكي لا يحدث أي مكروه، فلم يكن مني سوى الموافقة.

في اليوم التالي كنت أسمع حوارا بين اثنين في الخارج، من هذا الشخص الذي يكلمه؟ ولماذا أسمع اسمي في هذا الحوار؟

*****

الفصل السادس

(كيف حالك يا صديقتي؟!)

"عندما ينتهي المطاف بك مع صديق، أو حبيب ، لا تبدأ بالفراق، لا تبدأ بإنهاء كل ما كان بينكما، أعطه وردة حب وأخبره أنك ستمنحه فرصة لتصفية الأمور، لأنك ستندم إن لم تعطه فرصة لتصحيح أخطائه".

كان ذلك الرجل الذي يدعى حسام يكلم أحدا في الهاتف، وسمعت اسمي في الحوار، لا أعلم إن كان يتهيأ لي سماعه أم ماذا، لايهم، التجسس شيء بشع ولا أحب أن أتجسس، بعد أن استيقظت من النوم خرج هو ورفيقه ليحضرا بعض الخضروات والفواكه للبيت، جلست مع نفسي في البيت أفكر في المستقبل القريب، أمسكت بالهاتف واتصلت بأمل، لكنني وأنا أتصل تذكرت بأن أبي أخبرني بألا أكلم أحدا خلال هذه الفترة لكنني كنت قد اتصلت، ولا شيء سيحدث بمجرد أن أتصل، الأهم من هذا ما أخبرتني إياه أمل، والذي جعلني أتيقن بأن لا شيء يبقى على حاله، لابد أن تحدث مشكلة في كل يوم، نعم، فالمشكلة هي التي تعطي اليوم اسمه وجماله، ودون المشاكل تصبح الحياة كئيبة مملة، هذا هو الحوار الذي دار بين قلبي وعقلي بعد أن أخبرتني أمل بما حدث معها.

سوار: كيف حالك يا صديقتي اليوم؟

أمل: أنا على أسوأ ما يكون

سوار: ولم هكذا يا صديقتي؟!

ألا تعلمين أنني غادرت المنطقة؟

أمل: غادرتِها!

لم غادرتِها يا سوار؟

لا تكلميني بعد اليوم

سوار: لا يا صديقتي، غادرتها لفترة مؤقتة، سأخبركِ بالسبب.

وبعد أن أخبرتها بالسبب لم تصدق ما حدث.

أمل: ألم أقل لكِ إن الحياة تعيسة؟

بضحكات خفيفة قلت: أنتِ!

أنا من أخبرتكِ بذلك، لقد قلتِ بأنني يجب أن أعتاد على هذا الحال مع والديّ وها أنا ذا اعتدت وهذه آخر النتائج

أمل: أعلم ذلك، لكن لم أكن أتوقع أن هذا من الممكن أن يحدث، على أي حال، الدنيا كلها هموم، والأفضل هو من تجهز لمثل هذه الهموم، يتغلب عليها باستعداده لها لا بالحسرة عليها.

سوار: أمل، هل هنالك شيء تريدين إخباري به؟

أمل : نعم، هل تذكرين الشخص الذي أخبرتكِ بأنه يريد أن يتقدم إليّ؟

سوار:أجل، ماذا حدث؟

أمل: لقد انفصل كل منّا عن الآخر

سوار: ماذا تقولين!

ولماذا حدث ذلك؟

أقصد أن كل شيء يحدث بقدر الله، لكن ما السبب؟

أمل: لقد كنتِ على صواب، وكنتِ على حقّ، لكنني حمقاء.

سوار: أمل، أخبريني ما الذي حدث معكِ حتى أساعدكِ؟

أمل: لقد عرف أنني متبناة، وأن عائلتي الحقيقية غير معروفة حتى الآن، فظن أنني أكذب عليه طوال هذه المدة، وطلب مني أن ننفصل

سوار: ألم أقل لكِ يا أمل؟

أمل: أعلم أنكِ قلتِ لي، لكنني أخبرتكِ بأنني أنا أيضا سأخبره في الوقت المناسب

سوار: ولماذا لم يأتِ هذا الوقت المناسب يا ترى؟

أمل، نحن بطبعنا ننتظر الفعل حتى نقوم برد الفعل كما أخبرتك، لا نستعد لأي لحظة خطر، نحن نسوّف الأمور، نقول: غدا سأكون كذا، وغدا سأفعل كذا ويأتي الغد ويصفعنا على وجهنا صفعات الندم، حتى يشعر كل ابن آدم أنه كان على خطأ حين ترك الأمور مسوّفة، هل كان لديكِ أي رد فعل؟

أمل: نعم أخبرته بكل شيء.

سوار: وماذا عن الفعل الثاني؟

لم تتجهزي لأي فعل ثانٍ، يقوم به أليس كذلك؟ أحيانا رد الفعل الثاني قد يكون أهم من الأول، والآن ماذا ستفعلين؟

أمل: أنتِ قولي لي ماذا سأفعل، أنا عاجزة عن أي شيء.

سوار: لا شيء، قدّر الله وما شاء فعل، تعلّمي لغيرها.

أمل :أتعلم لغيرها!

نعم، فأنتِ لستِ في مكاني، لو أنكِ كنتِ في مكاني لكنت أعطيتكِ ألف حل بدلا من حللكِ هذا

سوار: حسنا أعطي لنفسكِ ألف حل إذن

أمل: أتستهزئين بي!

أشكركِ يا صديقتي الغالية أراكِ لاحقا.

وأغلقت الهاتف في وجهي، هذا جزائي ؟!

شكرا لكِ يا أمل، يا صديقتي، وبينما أنا جالسة على الأريكة في منزل السيد حسام طرق أحدهم الباب، في الحقيقة، ظننت أنه والدي مع السيد حسام لكنما إن فتحت الباب حتى ضربني أحدهم على رأسي وأغمي علي وسقطت على الأرض.

*****

الفصل السابع

(ابرة في كومة قش)

"لا تكن بخيلا مع من أحبك يوما ما، عائلة، صديق، حبيب، أكرمه، كن جميلا معه، فالصدقة لم تُخلق فقط للفقراء، وقد تكون بابتسامة تلبي احتياجات قلب من أحبك".

لم أحس بأي شيء بعدها، ولم أستطع أن أحرك أي مفصل من مفاصلي المتيبسة، كل ما سمعته وأنا في حال الإغماء هي أصوات غير مفهومة، من رجال لم تكن أصواتهم مالوفة لديّ، استيقظت من حال الإغماء، فوجدت نفسي محاطة بمجموعة كبيرة من الناس، كبار، صغار، شيوخ، أطفال، جميع الأعمار من حولي وأنا في زاوية الغرفة، غرفة صغيرة وضيقة برائحة تشبه رائحة البيض الفاسد، والأطفال يبكون والكبار يشكون، أين أنا؟

هل انا مخطوفه؟!

هذا السؤال الأول الذي سألته لنفسي، جاءني أحد يدعي (ليث)، كان أحد المخطوفين، قدّم إليّ خبزا ناشفا وألقى عليّ السلام.

ليث :مرحبا بكِ، ما اسمكِ؟

سوار: أنا اسمي سوار

ليث: سوار، اسم جديد، لم أنتِ هنا؟

سوار: أنا من عليه أن يسألك، أين نحن؟

ليث: في الحقيقة، من المؤسف أن أخبركِ بأنكِ مخطوفة هنا.

سوار: لقد أفدتني كثيرا، شكرا لمساعدتك، أعلم أنني مخطوفة، لكن من الذي خطفني؟

وماذا يفعل كل هؤلاء الناس هنا؟

ليث: اهدأي، في البداية هذه مجموعة من المختطفين، مثل أي مختطفين، يجمعون الأموال من الناس بسهولة، يخطفون الأطفال والكبار وأبناء الأغنياء، حتى يهددوا الأسر والعائلات بدفع مبلغ مالي مقابل الرهينة.

سوار: وأنت، منذ متى وأنت عالق هنا؟

ليث: أنا من خطفت الناس

سوار: ماذا تقول!

اغرب عن وجهي.

ليث: ههه أمزح معكِ، أنا هنا مثلي مثلك، أتيت إلى هنا منذ يومين تقريبا، وأنا أنتظر الفرج.

سوار: ولم لم يحررك أهلك؟

ليث: لا أعلم السبب، في الحقيقة، والدي توفي منذ سنة ونصف، أنا أعيش مع أمي في البيت الصغير، ونحن لاحول لنا ولاقوة، أعمل في تصليح السيارات تحت منزلي، وكنت قد عقدت قراني على صديقتي، لكنني لم أكد أفرح بعقد قراني حتى خطفت.

سوا: وماذا فعلت خطيبتك؟

ليث: إنها هنا معنا

سوار: ههه حقا؟

ليث: ريماس، تعالي إلى هنا، هذه سوار

ريماس: تشرفت بمعرفتكِ يا سوار

سوار: اسمي سوار، وأنا تشرفت بمعرفتكِ أيضا، ما هذه الصدف، نتعرف على بعضنا البعض في غرفة صغيرة ونحن على هذه الحال.

ريماس: هل أنت من عائلة ثرية؟

سوار: ما قصدك؟

ريماس: أقصد أن المجموعة الخاطفة تستهدف هذه الطبقة من الناس، إلا لو أنكِ فعلتِ شيئا ما جعلهم يخطفونك.

سوار: في الحقيقة لا أعلم، لقد استيقظت منذ قليل، ولا أعلم ما الذي يحدث.

وبعد مرور ساعتين تقريبا،على هذا الحديث الممتع تعرفنا على بعضنا وأخذتنا المواضيع والأحداث وأصبحنا أصدقاء بهذه السرعة، لكن ما لفت انتباهي ذلك الشاب الخاطف الذي كان يقف مع أصدقائه الخاطفين، لا أعلم ما الذي لفتني به لكن لم أحدق بأحد مثله من قبل، دخل إلى الغرفة ونادى على اسم أحدهم، وأخلى سبيله بسبب تسديد الأموال المطلوبة من قبل أسرته المسكينة.

سوار: كم شخصا يتحرر في اليوم؟

ليث: تقريبا من ٦ إلى ٧

سوار: إنه عدد كبير مقارنة بمن هم داخل الغرفة.

ليث: أعلم ذلك، لكن في كل يوم يأتي شخصان أو أكثر.

إنه فعلا شيء عجيب، وأين مكافحة الجرائم من هذا!

أين المسؤولون!

أين البشر من هذا الفساد الذي يحدث!

هل الجميع يقبل بهذه الأعمال!

أم أنهم مغيبون عن كل ما يحدث في هذه الغرفة الصغيرة!

كنت أظنّ أنّني حرة طوال حياتي وظننت أن الشيء الوحيد الذي قيدني في حياتي هو اسمي (سوار)، لكنني الآن علمت أن السوار كله معلق فيّ وفي هذا السجن الصغير.

في يومي الثاني في هذا المكان الذي سأسميه بالسجن، وفي اليوم الثاني مع هذه المجموعة الخاطفة التي سأسميها باللصوص، لأنهم لا يسرقون أموال الناس فقط وإنما يسرقون قلوب الأهالي ويدمرون حياتهم، خرج العديد من المخطوفين وبقي خمسة أشخاص _تقريبا_ بالإضافة إليّ أنا وليث وريماس، بحثت عن ذلك الشخص الذي شاهدته بالأمس، الذي لفت انتباهي، وأردت أن أعرف اسمه على الأقل، وجهه لم يكن مثل وجه البقية، فوجهه وجه شخص ابن عائلة محترمة، وربما هذا ما لفت انتباهي، أقصد أن اللصوص عادة لهم "كاريزما" معينة يظهرون بها للناس، ولهم صفات محددة تعطيهم اسمهم وصفاتهم الملازمة لهم، أما هذا الشخص، لم يكن يشبههم، وجهه كان سمِحا شيئا ما، حزين، لا أعلم ما السبب، سألت ليثا وريماس عن اسمه، لكنهما لم يعرفا أيضا، وبعد لحظات، دخل شخص آخر إلى السجن، وكان عمره بين٢١ و٢٥، وعليه أعراض المرض، كان مخطوفا من قبل هؤلاء اللصوص، وهو يكون ابن أحد العاملين في القرية القريبة من المدينة، هو يتيم الأب كما قيل وأمه مريضة، طُلِبَ من الأم ان تعطي مجوهراتها التي ليس لديها سواها، فرفضت لأن هذه المجوهرات هدية

من زوجها المتوفى، فخطفوا ابنها تهديدا لها، وعذبوه فترة طويلة حتى مرض، وآخر المطاف رموه في هذا السجن معنا، وحاله جدا حرجة، صعبت حاله علينا، كان يلهث ويبحث عن الماء حتى سقاه ليث بعض الماء المتبقي من البارحة، طلبنا من اللصوص أن يعطونا سقية أخرى لكنهم لم يجيبوا، حتى أتى ذلك الشخص الذي لفت انتباهي، وهنا حدث بينه وبين ذلك الشخص المريض الحوار الآتي.

المريض: أرجوك ياسيد آدم، أنا أتوسل إليك، أمي مريضة ،ويجب أن أكون بجانبها الآن.

إذن، اسمه آدم، وهو على ما أظنّ المسؤول عمّا بداخل السجن.

آدم: قلت لك، اخرج من هذا الباب حتى تعطينا أمك المجوهرات، هل سمعت؟

أنت مخطوف هنا ولست في بيت جدك.

المريض: أنا أتوسل إليك سيدي آدم.

خرج آدم من الباب ولم يعره أي اهتمام يا لقلبك القاسي يا آدم، لكنني على الأقل عرفت اسمك، حسنا، الآن ماذا سأفعل في حياتي، هنا يجب أن أبحث عن طريقة للخروج من هذا السجن، بدأت أشعر أن روحي تختنق بمجرد وجودي في هذا المكان، وبدأت حال المريض تسوء شيئا فشيئا، حتى خشيت أن يموت، طلبت من ليث وريماس أن يذهب أحدهما لآدم فيترجاه ان يعالج المريض لكنهما خشيا على نفسيهما.

سوار: إذن، سأذهب أنا بنفسي وأخبره.

ليث: ستموتين يا سوار، أرجوكِ عودي.

سوار: لن أموت، لن يحدث أي شيء، على الأقل سأكون قد حاولت.

طرقت الباب حتى يسمعني اللصوص، وبالفعل أتى أحدهم قائلا:

ماذا تريدين يا هذه؟

سوار :أريد الحديث مع آدم

أدم مشغول الآن، ماذا تريدين منه؟

سوار: أخبره أني أريده حالا، الأمر ضروري.

أتى آدم وهو غاضب ويصرخ: ماذا تريدين؟

سوار :من فضلك، الرجل يموت في الداخل، دعنا نسعفه ومن ثم نرى ماذا سنفعل في مجوهرات أمه، إن روحه أهم من المجوهرات.

آدم: ومن أنتِ؟

لماذا تتدخلين في أمور لا تعنيكِ؟

سوار: أعلم ذلك، لكن أرجوك دعنا ننقذه، ثم افعل مايحلو لك.

آدم: أيها الحراس، أحضروا هذا الرجل إليّ حالا.

سوار: أشكرك يا سيدي

آدم: هيا أُغربي عن وجهي

لم أصدق أنه قبل ذلك!

لم أتوقع مطلقا أن يقبل أو حتى أن يسمع مني كلمة!

فعلا، المحاولة خير نجاح حتى وإن لم أنجح، كما قيل إن ذلك الذي وجد الإبرة من كومة القش قد تعب في البداية وكان إيجادها مستحيلا، لكنّه كما قيل، وجدها حقا

الفصل الثامن

(هل سأراه ثانية؟!)

"أحب دائما ان أسافر بأحلامي ، فهي تأخذني إلى أي مكان في العالم بدون تأشيرة سفر، لذا سافر بأحلامك إلى قلوب من أحببت".

بعد خروج ذلك المريض من الغرفة قلقنا عليه أنا وليث وريماس، لكن لم يدم ذلك القلق كثيرا، فبعد دقائق قليلة جدا وصلنا خبر أن المريض قد مات، هل يعقل!!

حتى لو عالجوه وذهبوا لعلاجه، لم يكن الوقت كافيا لعلاجه، ربما قد مات في الطريق ،لا أعلم، أو ربما هم من قتلوه، أيضا لا أعلم، لكن

لم يقتلونه وهم بحاجة إليه؟!

ذهبت إلى آدم وسألته: هل أنتم من قتلتموه؟

آدم: وما شأنكِ أنتِ؟

سوار: أخبرني، هل قتلتموه؟

آدم: لا، مات من نفسه

سوار: لن أترككم وشأنكم إذا علمت أنكم أنتم من وراء هذا يا قتلة

رجعت إلى ليث وريماس بعد أن تحرر الرهائن ولم يبق سوانا نحن الثلاثة في هذه الغرفة الضيقة، أتى يوم من الأيام وكان ليث يبكي في زاوية الغرفة، تعجبت من الذي رأيته، ماذا حدث لهذا الرجل حتى يبكي متخفيا؟!

هل من واجبي أن أسأله عن السبب؟ أم أنه سيحرج؟ لم أفكر كثيرا فقلبي تغلب على عقلي، وهذه طبيعة أغلب الشعوب، يتغلب القلب على العقل في أصعب المواقف، وفي المواقف التي تتطلب منا رحمة ولينا، نستغلها بطريقة خاطئة ونوهم أنفسنا على أننا عاقلون، ولا رحمة في أمور كهذه، ونخطئ التصرف، أما أنا فتصرفت تصرفا نابعا من قلبي وذهبت إلى ذلك الرجل وسألته.

سوار: ماذا بك يا ليث؟ هل لي أن أساعدك؟

ليث: لاشيء يا سوار، لقد اشتقت إلى أمي فحسب، لا أعلم ماذا تفعل دوني في هذه الفترة ولا أعلم بماذا تفكر في آخر الليل، ومن يحميها من هؤلاء الغدارين.

سوار: لا تقلق، كل شيء بخير، إن الله معها.

ليث: أنعمي بالله، لكنني أخاف أن يصيبها أي مكروه.

سوار: ادع الله لها، وكل شيء سيكون على مايرام.

لحظات، وحارس الغرفة يقول: ليث وريماس، تم دفع النقود من قبل عائلة ريماس، أنتم أحرار، لم أصدق وكأنني أنا من خرجت، لقد كنت سعيدة جدا من أجلهما، الفرحة كانت مرسومة على وجه ليث بألوان الأحمر والأخضر وألوان الحرية، ريماس كادت تطير من الفرح وتهتف: (أخيرا سنتزوج)، كنت سأبكي من أجلهما، كم الحرية شيء جميل! كم هو جميل أن نعيش بلا قيود، بلا سوار يقيدنا، بلا أمور تعرقل طريقنا، كم هو سعيد ذلك الطائر الذي يعيش على الأغصان، يطير بحثا عن الطعام!

فعلا، السلام والأمان والحرية أمور لا توصف بالكلمات، خرج كل من ليث وريماس من هذه المقبرة الحية بعد أن ودعاني وتمنيا لي كسر ذلك السوار.

ليث: لقد استمتعنا معكِ يا سوار

سوار: أنا أيضا يا ليث، لا تنسياني

ريماس: كيف لنا أن ننساكِ يا صديقتي، لقد أصبحتِ جزءا منّا.

سوار: أشكركِ يا ريماس، لقد اعتدت عليكما، أراكما لاحقا

ليث: إلى اللقاء يا سوار، ليلة سعيدة

لقد ذهبا، بقيت وحدي في هذا السجن، وحيدة بلا ونيس بلا حركة بلا صوت بلا صراخ بلا شجار ولا فرح ولا حزن ولا حياة

وفي آخر الليل دخل علي رجل أسود الثياب أسود الشعر طويل القامة، من هذا الرجل؟! وماذا يريد؟

لقد عرفته، إنه آدم، ولكن ماذا يريد مني؟

لا يوجد أحد سواي هنا

آدم: كيف حالك يا سوار؟

سوار: أنا بخير ماذا تريد مني؟

آدم: أريد التحدث معكِ

سوار: أخرجني من هنا، ونتحدث كيفما شئت، لماذا جئتم بي إلى هنا؟

ماذا تريدون؟

ردود فعله التالية لم أتوقعها منه، كيف له أن يقول مثل هذا الكلام؟

آدم :لدي سؤال يحيرني

سوار: ما هو؟

آدم: لقد أرسلنا لعائلتك أنك قد خطفتِ، فلم يجب أي أحد منهم.

سوار: الجواب هو أنني بلا عائلة

آدم: ماذا تقصدين؟

سوار: أقصد أن عائلتي لا تحبني، عائلتي بخيلة لن تقدم أي شيء مقابل حريتي، لقد بنيت نفسي بنفسي كنت حرة طوال حياتي ولم يتدخل أي أحد منهم في بناء مستقبلي، الشيء الوحيد الذي قيدوني به هو اسمي، لهذا لن يتدخل أي أحد في حريتي هنا، أنا أعد نفسي بلا عائلة، لا أحد يهتم لمشاعري، ولا أحد يحبني، حتى صديقتي المقربة تخلت عني في أصعب أوقاتها، فماذا لو كنت أنا في أصعب أوقاتي، هل تظن أنها ستتخلى عني؟

أم أنها ستأتي وتحررني على الفور؟

آدم :هل هذا يعقل؟

هل هذا كله مخبأ في شخصية مثلك!

من يراكِ من بعيد، يظن أنكِ بلا قيود وأنكِ تعيشين حياة كريمة هانئة مع عائلتك المترابطة الثرية لم أكن أتوقع أن الحياة ترينا أمورا وتخفي عنا أعظم، حتى أنا حياتي لم تعد حياة، ومن رآني اتهمني بالعدوانية والحقارة ولا يعلم ما وراء ذلك الوجه العبوس

سوار: وماذا قد يكون وراءه، حقد وكراهية وطمع.

آدم: أجل حقد، هي الكلمة الوحيدة التي يمكن أن تصف حالي، بعد أن تربيت في دار الأيتام وكان والداي هما من وضعاني في الدار، تركاني هناك لأن والديّ لم يكونا يريدانني أساسا في الحياة، فقررا أن يتركاني عند بيت الأيتام، ولم يأت أي منهما لزيارتي

حتى، كنت أشاهد لحظات قاسية وصعبة، طفلا يحتضن والدته وأبا يعطي طفله حلوى، وأيادي العائلة متشابكة، أي نوع من الارتباط يسمى هذا!؟

لم حرمت من أهم ملذات الحياة؟

لم لم أرزق بعائلة سعيدة؟

عندما كان يسألني أحدهم ،أين والدك؟

كنت أتردد عند الإجابة، الآن أقولها بكل صراحة، أنا أحقد على جميع الأهالي وأريد أن أحرق دم كل أم على ولدها، وأقتل قلب كل أب على ابنته، مثلما حدث معي.

لقد حزنت عليه وعلى حاله فعلا الحياة بها الكثير والكثير الذي لا نعلمه، ونحكم على الناس دون أن نعرفهم أو نتحدث معهم.

سوار: لكن هل تعتقد أن هذا هو الحل الوحيد؟

لم لا تتسامح وتغفر؟

آدم: أحيانا يمكن للشخص أن يتغير ويصبح شخصا أفضل، ولكن لا يستطيع مسامحة غيره لشيء فعله سبب له أذى وألما كبيرين، لا يكون هذا العند صفة ملازمة له، لكن خطيئة الشخص تجبره على عدم مسامحته.

سوار: آدم، أنا أعلم أن ما حدث معك في حياتك ليس بالأمر السهل، لكن المسامحة لها طعم آخر، وحب الحياة له حياة أخرى، حاول أن تعيد حساباتك ،أنت لن تحصل على أي شيء بحقدك على العالم، لكن بحبك ومسامحتك ستجلب الكثير .... الكثير يا آدم، صدقني.

تأثرت معه في هذه الليلة كثيرا، نقاشنا لم يكن أبدا عقيما، فمع كل جملة أو كل صمت أرى في عينيه حزنا كبيرا كما رأيته أول مرة، لم أجد أي نوع من الحقد والكراهية على وجهه، كان يقولها بشفتيه وليس بقلبه، فقلبه متسامح كما شعرت.

عاد آدم إلى مكانه وتركني وحدي في الغرفة، الغرفة السوداء التي جلست أفكر فيها عن المزاج المتقلب، ماذا سيحدث في الغد؟

هل سأراه ثانية؟

وعن ماذا سنتحدث؟

كنت أسال نفسي أسئلة كثيرة حتى لا أنام ويأتي الغد، كنت أجهز بعض الأسئلة في مخيلتي، أسئلة كثيرة، فبعضها سينسى بمجرد وقوفي أمامه.

*****

الفصل التاسع

(العد العكسي)

"اسع إلى ما يقودك إليه عقلك، وافرش البساط بقلبك، اختر شخصا تحبه لتسعده، اختر شخصا تكرهه لتحبه، الحب شيء ثمين، لا يعرفه إلا من فقد لذة الحياة".

استيقظت من نومي، نعم لقد نمت البارحة نوما مريحا لم أذق طعمه من قبل. أرسل إليّ الحارس الطعام الذي كان خبزا وزيتونا، أكلته وحمدت الله على نعمه وبدأت أفكر، وبينما، أنا أفكر أتى آدم.

آدم :صباح الخير يا سوار كيف أصبحتِ؟

سوار: الحمد لله، أصبحت بخير

آدم: لقد تأخرتِ بالنهوض اليوم فما السبب؟

سوار: السبب أنني اليوم أنام وحدي في هذه الغرفة فلا أحد يزعجني.

آدم: هل أعد هذا أمرا جيدا؟

سوار: نعم بالطبع، أمر جيد.

آدم :حسنا، لن أبقى طويلا، فالزعيم سيأتي اليوم ليتحدث معكِ في أمر ما.

سوار: ومن هو الزعيم؟!

آدم :الزعيم هو الشخص المسؤول عن كل ما يحدث هنا، هو من أسس هذه المجموعة السرية.

بعد دقائق قليلة، وصل الزعيم، رجل ضخم ذو هيئة وقوام كبيرين، وصوته ضخم قوي، لكن لم يكن غريبا عني، لحظة .... أليس هذا هو .... لا أصدق!

هذا السيد عادل، مدير الشركة التي يعمل عندها أبي! هل هو الزعيم؟

السيد عادل: مرحبا يا سوار كيف حالكِ؟

سوار: أنا بخير، ماذا تفعل هنا يا سيد عادل؟

السيد عادل: من الواضح أنكِ تعلمين الآن لماذا أنتِ هنا، أليس كذلك؟

سوار: لا، ليس كذلك، لا أعلم، أخبرني أنت.

السيد عادل: في الحقيقة، بعد ذلك الشجار الذي حدث في بيتكم اللطيف، فكرت بطريقة يمكنني من خلالها الحصول على النقود التي سرقها أبوكِ، ولم أجد شيئا يمكنني أخذها به سواكِ، فمن المعروف أن عائلتكم مترابطة بشكل كبير، لذلك، نقطه ضعف أبيكِ عائلته.

سوار : أنت مخطئ يا سيد عادل، فإن نقطة ضعف أبي هي النقود وليست العائلة، لذا، إذا خيرته بين المال والأولاد، سيختار المال.

السيد عادل: هل أنت جادة؟!

سوار: بالتأكيد جادة، وإن لم أكن جادة، لما وجدتني هنا إلى الآن.

السيد عادل :أنت تكذبين، ولن أتركِ تخرجين من هنا حتى أستعيد نقودي، هل سمعتي؟

هذا ما حدث في الصباح، شيء غريب، لكن لم يكن بعيدا عن الأذهان، فلو أنني فكرت بها من قبل، فإن هذا الشيء متوقع، الحدث الأهم وهو ما حدث في آخر الليل، أتى آدم إلى الغرفة باستخفاف كما يفعل كل ليلة.

آدم: أخبريني ماذا قال لكِ الزعيم.

سوار: الزعيم كان صديق والدي ولكنهما تشاجرا وحدث ما حدث.

آدم: هكذا إذن، أريد أن أخبركِ شيئا، أنا أريد أن أساعدكِ في الهروب من هنا.

سوار: لم تقول هذا ؟

آدم: في الحقيقة، وبكل صراحة، لقد أشفقت عليكِ، وأريد مساعدتكِ.

في الواقع، أنا من أشفق على حاله وأريد مساعدته، لا أريد أن أخرج من هذا المكان حتى أشعر أنني ساعدته بشيء ما، لأنني فعلا حزنت على حاله.

آدم: سوار .... أريد أن أخبركِ بشيء ما.

سوار: أخبرني هيا.

آدم: سوار .... أنا أحبكِ.

هل يمكنك أن تعيد؟

ماذا قلت؟

لم أسمع ما قاله، أو سمعته ولكنني أريد أن أتاكد.

آدم :سوار .... أنتِ "شهرزاد" حياتي، منذ أن رأيتك أول مرة، عندما كنتِ تدافعين عن السجناء، تدافعين عن الحق ، أحسست بشعور بأن الحياة مازال فيها خير وحب

كما أخبرتِني من قبل، وأنّ الحياة بالتسامح والأمل هي حياة جديدة، وهذا ماجذبني إليكِ وإلى قلبكِ الصافي.

سوار: في الواقع، أنا فاقدة للنطق في هذه اللحظة، لا أعلم ماذا أقول، ولكن لا يجب عليك أن تقول هذا هنا، ألا ترى ما نحن عليه الآن؟

نحن في السجن، وأنت من اختطفني

آدم: أنا سأنقذكِ من هذا المأزق، وسأحاول إخراجكِ من هنا في أقرب وقت، وأنتِ ستنتظرينني في الخارج، وسنهرب معا

سوار: لكنني لا أريد يا آدم، أريد أن أساعدك أنت في عملك، أريد أن أراك سعيدا في عملك وفي حياتك، فإذا كنت تجد السعادة في عملك هذا، فسأساعدك فيه، ثم نهرب

آدم: لا، أنا أجد السعادة معكِ أنتِ، فمن فضلكِ، دعيني أساعدك

في الحقيقة، ما كان يحدث كان أشبه "بفيلم سينيمائي"،لكن هذا بالفعل ما حدث معي، من الطبيعي أنه هو الخاطف وأنا المخطوف!

لكن ما حدث هو العكس تماما، يا ليته كان العكس، فما كان يحدث كان خيالا، أنا أشفقت على حاله، وهو من خطفني وأشفق أيضا على حالي، لا أعرف ما اسم هذه الحال التي وصلنا إليها، لكن هذه الحال فعلا غريبة، ولا أعلم ما نهايتها، لكنها ستكون نهاية غير متوقعة أيضا، رجع آدم إلى مكانه وتركني في الغرفة كما جرت العادة، وكباقي الأيام، جلست أفكر في الذي حدث في هذا اليوم العصيب.

في يوم من أيام الشهر التالي، جاء أحد الحراس إلى الغرفة يسألني.

الحارس: هل هنالك شيء ما يجري بينك وبين آدم؟

سوار: وماذا قد يكون جرى؟

الحارس: أنا من يسألكِ هنا

سوار: لا، لا شيء

الحارس: شاهدته البارحة يخرج من عندكِ في آخر الليل.

سوار: نعم فلقد كنت .... أصرخ من شدة الألم الذي في رأسي، ولم يسمعني غيره.

الحارس: هكذا إذن، في المرة القادمة، أنا موجود عند الزاوية هناك

يا للهول!

كدت أقع في مشكلة كبيرة، يجب أن أخبر آدم عنها، في الليل، وفي وقتنا المعهود الذي لم يحدده أي أحد منّا، إنما واقعنا المماثل هو من حدد هذه المواعيد، أتى آدم إلى الغرفة، ولكن هذه المرة تختلف.

آدم: سوار، يجب أن أخبركِ شيئا.

سوار: أنا من سيخبرك، الحارس اليوم، ومن كلامه أحسست أنهم علموا بما يجري في هذه الغرفة، فأرجو أن لا تأتي هنا ثانية، لفترة وجيزة، حتى نرفع الشك عنّا

آدم: حسنا، لا تقلقي، سنقف جنبا إلى جنب حتى نتغلب عليهم يا سوار، هل رأيتِ في مرة سحابة صغيرة تمطر وحدها؟ دائما ما تكون الغيمة رفيقة لغيمة أخرى بجوارها، بمجرد أن تلتقيا، تمطران أمطارا غزيرة، وكلما كبر حجم الغيوم وعددهنّ، اشتدّ المطر، هكذا نحن، كلما كبر حبنا وتقربنا، أمطرنا حبا وسعادة على الحياة، فلا تيأسي، سنهزمهم، لكن الأهم من ذلك، أنني أريد أن أخبركِ بأننا سنهرب غدا، سأحاول أن

أجد حلا يصرف عنا الحراس، ثم تهربين أنت،وأنا سأتبعكِ فورا، وبعدها نغادر اليابان كلها.

سوار: آدم .... أنا خائفة

آدم: لا تخافي، كل شي سيكون على ما يرام.

(كل شيء سيكون على ما يرام) هذه الجملة نقولها بلا وعي لأهميتها، أصبحت المنجي الوحيد من كل المخاوف والمشاكل

.

*****

الفصل العاشر

(ليلة سعيدة)

"الشخص الذي يصر دائما على تذكيرك بمواقفه النبيلة معك وإظهار فضله عليك ، لا يصلح بأن يكون في قائمة مجتمع قلبك"

سوار: آدم، ماذا عن والديّ وأصدقائي هنا في اليابان؟

آدم : سوار، سنجد حلا لكل شيء، لكن الآن نحن في مأزق يجب أن نخرج منه أولا ثم نفكر ببقية الأشخاص، الزعيم عادل ليس بهين، إذا علم أي شيء عنا قد يقتلنا

سوار: أعلم ذلك، لهذا أنا خائفة

آدم: الأهم من هذا أن نهدأ الليلة ونفكر في الغد، وأنا سأتركِكِ تنامين، وغدا في تمام الساعة الخامسة عصرا سننطلق، اتفقنا؟

سوار: اتفقنا يا آدم

آدم: أحبكِ يا سوار، ليلة سعيدة

لم أستطع أن أنطق أي شيء بعد كلمة (ليلة سعيدة)، لم أستطع أن أقول أي شيء حتى ولو بالمثل، ولكن هذه الكلمة لم يقلها أي أحد وانتهت على خير، فبمجرد أن قالها جاء الحارس وقال: إلى أين يا صديقي، لقد وقعت بين أيدينا يا مخادع

وأتى الزعيم عادل وجميع الحراس

الزعيم عادل: ما عقوبة الخائن يا شباب؟ هل الإعدام خنقا أم بإطلاق النار؟

سوار: أرجوك يا سيدي، لم يكن يخونك، بل كان...

الزعيم عادل: سوار، لا تحاولي، فلقد سمعنا كل شيء، هيا يا شباب خذوه إلى غرفة الاعترافات.

لكنهم لم يمسكوا به، فبعد هذا الكلام حاول آدم الهرب من الباب الخلفي، لكن أحد الحراس أطلق عليه النار، ومن بعده، جميع الحراس أطلقوا النارعلى آدم.

المشهد كان مخيفا للغاية، المشهد كان مرعبا، أتذكرون "الفيلم السينمائي" الذي أخبرتكم عنه، لقد أصبح "فيلما" مرعبا، كابوسا يجول في رأسي في كل ليلة أنام فيها، لم تذهب تلك المشاهد عن بالي إطلاقا، لقد ذهب آدم، وآخر كلمتين نطق بهما (ليلة سعيدة)، هما آخر كلمتين سمعتهما بأذني، أو بالأحرى آخر كلمتين نطقت بهما شفتاه اللتان تعودتا على إخراج الكلام النقي، الكلام الذي يحلو صوته في كل مرة أقابله فيها، صوت يتدفق من القلب الذي يدق كلما نظرت في عينيه

ذهب ولم يدعني أخبره بأنني أنا أيضا أحبه، أنا أيضا أحببته من أول لقاء بيني وبينه، لم أكن أعلم أنه مع كل استقبال لابد أن يكون هناك وداع، لكن وداع آدم كان مختلفا عن البقية، بكيت في كل ليلة من تلك الليالي الحزينة، قصصت أجزاء من ثيابي حتى أجمع دموعي الغالية عند سقوطها

جاء الزعيم عادل

الزعيم: سوار، ستعملين معنا

سوار: اغرب عن وجهي، لا أريد أن أعمل معكم، أخرجوني من هنا.

الزعيم: حتى أخرجك لابد من أن تعملي معنا، مرة واحدة على الأقل.

سوار: وماذا أعمل؟ أسرق الأطفال؟ أم أسرق المصارف؟

الزعيم: نعم، تسرقين المصارف، هناك مصرف سيقوم بعمل احتفالية بمناسبة افتتاحه، وبما أن المصرف جديد فإنه على الأغلب سيكون غير منظم جيدا، فسيتسنى لكِ أن تسرقي المصرف.

سوار: ولم لا تذهب أنت وأتباعك لسرقته؟

الزعيم: وجودنا في هذه المناسبات في هذه الفترة هو أمر صعب، فإذا أردتِ الحرية اسرقي المصرف.

ما أجمل هذه الحرية التي تؤدي إلى الخراب لبعض الناس، ما أجمل الحرية بظنكم التي تبحثون عنها يا مجرمين.

سوار: حسنا، أنا موافقة.

الزعيم: ستكون المهمة غدا، الساعة العاشرة صباحا.

جاء اليوم التالي، اليوم الموعود.

الزعيم: سوار، أنا أثق بكِ، لكن إن فعلتِ أي شيء مخالف لما قلت لكِ ستجدين نفسكِ مع آدم.

هذه أمنيتي، أرسلني إلى آدم، أريد الحرية حتى ولو كانت بقتلي.

سوار: حسنا يا سيد عادل، لا تقلق، سأفعل أي شيء مقابل حريتي.

ذهبت إلى المصرف صباحا، وشاهدت الاحتفال واتجهت إلى المكان المطلوب لأسرق المصرف، في بداية الأمر كان صعبا، لكن بعد أن شاهدت الأموال، جمعتها على الفور وسحبت خطواتي خطوة بخطوة إلى الوراء، ذاهبة إلى باب المصرف، تأخرت بعض الشيء لكن، وأنا أخرج من الباب، صرخ أحدهم: (لص...لص..) فأسرعت إلى

السيارة التي بها الزعيم، لكن أحدهم أطلق النارعلى كتفي، لكنني دخلت السيارة، وانطلقنا، وصلنا إلى مكاننا المعهود (السجن) وأعطيت الأموال للزعيم، وبعدها أدخلوني الغرفة.

سوار: ألم تخبروني أنني سأجد حريتي بعد هذه العملية؟!

الحارس: انتظري دقيقة، سيأتي الزعيم، وبعدها ستقابلين حريتك.

انتظرت دقائق طويلة في الغرفة، لكن بعدها سمعت هذا النقاش.

الحارس: لم أفهم، لماذا يا زعيم؟

الزعيم: هذه الفتاة أصيبت في كتفها، هذا يعني أنها من الممكن أن تفشي سرنا في أي وقت، فيجب أن نتخلص منها.

سمعت هذا الكلام وحاولت أن أتظاهر بأنني لم أسمع أي شيء، دخل الحارس وقال لي: هيا، تعالي إلى هنا. ذهبت إلى الزعيم

وقال: أنا فخور بكِ يا سوار، سنشتاق إليكِ، أنتِ حرة الآن

سوار: أشكرك، ليلة سعيدة يا زعيم.

الزعيم: لكنه الصباح يا سوار، عن أي ليلة تتحدثين؟!

سوار: ستعرف بعد قليل.

أخذني الحارس بسيارته إلى منزلي القديم.

وجدت أبي وأمي ينتظرونني في الخارج وما أن رأيتهم أسرعت باحتضانهم والدموع تسيل كالنهر الذي لا ينقطع، أمي لقد اشتقت إليك، أبي لقد اشتقت للنظر في عينيك.

الأب: حمدا لله على سلامتك يا بنيتي، هل آذوك يا صغيرتي؟

سوار: لا يا أبي لكنهم قتلوا آدم..الأم: ومن هو آدم؟

سوار: هذا هو الشخص الوحيد الذي كان يساعدني في ذلك السجن المخيف، والجميع كان يحاول قتلي إلا هو.

و بعد أن أخبرت أمي وأبي عن قصتي في ذلك المكان وأخبرتهم عن حيلتي في القبض على المجرمين، حيث أنني أخبرت مدير البنك بأمر اللصوص وقاموا بما هو مطلوب، وأعتقد الآن تم القبض عليهم. تفاجأ أبي وأمي من الذي قمت به وابتسموا لذلك مع دمعات خفيفة رأيتها على وجه أمي لا أعلم سببها. وفي الليل الذي غطى عليه الظلام، كنت نائمة في غرفتي وعلى سريري، سمعت صوت أحدهم يأتي إلى غرفتي، من هناك؟! كنت أغطي وجهي حتى لا أرى، فما شاهدته في تلك الفترة أصابني بالرعب طوال حياتي، دخل الشخص واتجه إلي، ماذا يريد مني؟! أمسك باللحاف وأراد أن يكشفه عن وجهي، وأنا أرتجف، وأخيرا كشفه بسرعة فائقة، بدأت بفتح جفني شيئا فشيئا وكانت الصدمة. أمي! ماذا تفعلين هنا؟الأم: كل شيء سيكون على ما يرام يا بنيتي، لا تصرخي

سوار: أمي ما هذا الشيء الذي بيدك؟! هذه نفس الأدوات التي كان يستعملها اللصوص، من أين جئت بها؟!الأم: لا تخافي يا بنيتي، أنا أريد راحتك

و ضربتني ضربات عنيفة بهذا الخنجر أو السكين الرفيع، ما كان مني إلا أن صرخت صرخة صاخبة، البكاء هرب مني عندما سمعها، ارتجف بدني، أمي ماذا تفعلين، أنت تقتليني! وهي تبكي وتغرس في جسدي، أتى أبي يشاهد من بعيد، حتى أنت يا أبي! يا إلهي ما هذا الذي أراه، وانا أصرخ وقلبي يصرخ، يكاد قلبي أن يقتلع من مكانه،

ودموع أمي تنزل على وجهي فتختلط بدموعي. بعدها لم أشعر بأي شيء، وتوقف قلبي عن النبض وأغلقت عيناي..كانت سوار تعاني من مرض الوهام العقلي والذي يتسبب بتخيلها أمور لم تحدث وتتفاعل معها، وكانت تعاني من هذه الاضطرابات منذ فترة وجيزة، تخيلت فيها أشخاصا لم ترهم في حياتها وأماكن لم تزرها من قبل.

هل هذا يعني أنني لم أقابل أي أحد من تلك الشخصيات؟! حتى آدم! والسجن الذي أقمت فيه هل هو نفسه مشفى المجانين؟ لكنني لست مجنونة، أنا بالفعل قابلت تلك الشخصيات ومررت بكل تلك المواقف، لكنكم أنتم من لم تشعروا بها، ومرضي أنتم من أوجدتموه، لقد ولدت سليمة بلا علة، وبظلمكم وقهركم وتربيتكم الخاطئة وأسلوبكم الفاشل أنا هنا مريضة عندكم، أو مجنونة في نظركم، أنا أستطيع تخيل الأمور على الأقل لكنكم لا تملكون نظرة للتخيل حتى في الواقع،أسلوبكم المتوحش في الاعتناء جعلني أشعر أنكم لصوص لم تفكروا في مرة إن كنت أعاني، اعتبرتموني مجنونة فظننتم أنني لا أشعر ولا أتألم عندما تهملوني، اعتناء آدم كان يكفيني،على الأقل أنا ما زلت صغيرة ويمكنني أن أتعالج، لكنكم لن تزوروا الأماكن التي زرتها أو (تخيلتها) بنظركم، نعم لا تبك يا أمي فهذا هو حالي بسببك، أنتم أغنياء ولا يهمكم أي شيء سوى أن تعيشوا بسلام، تفكروا بأنفسكم ويغيب عن بالكم أنني ابنتكم، هيا يا أبي أكمل طريقك نحو المجد وابحث عن مكانتك بين أغنياء المدينة، كل ما عليكم هو غرس تلك الأداة في جسدي وتكملوا مسيرتكم، نعم هذه هي الحياة، وهذا هو الواقع، لكل منا حياة يخترها بنفسه، إلا أنا فأنتم من اخترتموها لي، سأكمل نومي الآن وغدا نكمل قصتنا، ليلة سعيدة

ملاحظة!

هنالك متلازمة مرضية تدعى "ليما" وهي حالة يصبح فيها الجناة أو المعتدون متعاطفون مع الضحية، فيطلقون سراحهم أو يساعدونهم بأي شكل من الأشكال، وهذا ما حدث مع آدم تجاه سوار.

و هنالك متلازمة مرضية أخرى تدعى "ستوكهولم" وهي الحالة النفسية التي تصيب الفرد وتدفعه للتعاطف أو التعاون مع العدو بعد تعرضه لأحد حالات الاضطهاد وهذا أيضا ما حدث مع سوار تجاه آدم.

""و هذا هو سر علاقة الحب السريعة بينهم في الرواية.""

*****

الفهرس

إهداء ٥

أشكرك ٦

مقدمة ٨

الرواية الأولى ٩

خارج نطاق الواقع ٩

الفصل الأول ١٠

(هل تعرفتم علي؟!) ١٠

الفصل الثاني ١٤

(بطولة الضرب) ١٤

الفصل الثالث ١٨

(شكرا لك) ١٨

الفصل الرابع ٢٢

(السمعة الطيبة) ٢٢

الفصل الخامس ٢٧

(أصدقاء جدد) ٢٧

الفصل السادس ٣١

(نسخة بشرية) ٣١

الفصل السابع ٣٥

(التفكير في الواقع أمر عمل) ٣٥

الفصل الثامن ٤٠

(رأيتهما معا) ٤٠

الفصل التاسع ٤٥

(زليخة) ٤٥

الفصل العاشر ٤٩

(اشتقت لكم) ٤٩

الرواية الثانية ٥٣

ليلة غير سعيدة ٥٣

الفصل الأول ٥٤

(سوار) ٥٤

الفصل الثاني ٥٩

(إشارة صفراء) ٥٩

الفصل الثالث ٦٥

(بداية البداية) ٦٥

الفصل الرابع ٧١

(أسرار مخفية) ٧١

الفصل الخامس ٧٧

(رحلة! إلى أين؟) ٧٧

الفصل السادس ٨٣

(كيف حالك يا صديقتي؟!) ٨٣

الفصل السابع ٨٧

(ابرة في كومة قش)..... ٨٧

الفصل الثامن..... ٩٣

(هل سأراه ثانية؟!) ٩٣

الفصل التاسع ٩٩

(العد العكسي) ٩٩

الفصل العاشر ١٠٥

(ليلة سعيدة) ١٠٥

الفهرس ١١٢

*****